جريمة في الحي الصامت

جريمة في الحي الصامت

مجموعة قصصية

سلوان البري

إصدار: مارس ٢٠٢١

منشورات دار لوتس للنشر الحر

مشروع النشر الحر - الإصدار رقم: 534

www.lotusfreepub.com

رقم الإيداع

2021/7316

الترقيم الدولي ISBN

978-977-6839-85-4

الغلاف: ندى البري

الإخراج الفني: دار لوتس للنشر الحر

كل ما ورد بهذا الكتاب مسئولية مؤلفه من حيث الآراء والأفكار والمعتقدات، وكونه أصيل له غير منقول، وأية خلافات قانونية بهذا الشأن لا تتحملها دار النشر، وجميع الحقوق محفوظة للمؤلف ولا يجوز نشر هذا الكتاب أو جزء منه بأية طريقة دون موافقته أو موافقة دار النشر.

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

جريمة في الحي الصامت

مجموعة قصصية

سلوان البري

إهداء

إلى عالمي الأول
أسرتي الصغيرة الذين اعتدنا أن نغرقَ
وننجو معًا
أبي وأمي وأختي الحبيبة ندى

إلى رفيقات طفولتي وصِباي ودربي
نغم ونهى ودعاء

إلى هؤلاء جميعًا
وإليك عزيزي القارئ
أهدي كتابي الأول

جريمةٌ في الحي الصامت

لم يكن من عادة أهل الحي الصامت أن يستيقظوا باكرًا، لا سيما أن اليوم هو أحد صباحات ديسمبر الماطرة! إلا أن الفاجعة التي وقعت كانت كفيلة بأن تقض مضاجعهم، إذ ارتكبت جريمة قتل بشعة على أطراف المدينة في ذاك الصباح! جريمة قتل جديدة روعت الصغار وأعادت ذكرى أليمة لأذهان الكبار!
ذكرى ما حدث منذ ثلاثين عاما!

التوقيت السابعة صباحا..
المكان إحدى مراكز محافظة المنيا!

- ما الأمر؟!
- أريد تقريرا سريعا عما حدث!
هكذا بدأ المحقق (جمال الذهبي) حديثه بينما يرفع عن عينيه نظارته الشمسية بإهمال!
- جريمة قتل يا سيدي..
- الضحية سيدة خمسينية.. تدعى كوثر..وجدت جثتها ملقاةً على أطراف الحي..
يرجح أن الجريمة قد تمت داخل منزلها نظرا لوجود آثار عنف به.. ولكن جثتها قد وجدت هنا بشكل ما!
- بل العكس هو ما حدث!
- قتلت السيدة هنا على أطراف البلدة ومن ثم تركها القاتل وذهب ليعبث بمحتويات مسكنها التي أرجح منذ الآن أن باب المسكن قد فتح بشكل طبيعي وبدون أي كسور,, كما أتوقع عدم عثور الرجال علي أية بصمة غريبة بالمحيط!

- لقد دبر أمر تلك الجريمة بشكل جيد جدا..هل نظرت للجرح النافذ بالرقبة..لقد تم بمهارة شديدة!
هكذا اطلق جمال تحليلاته السريعة كالمعتاد والتي سرعان ما ستتكشف صحتها فيما بعد!
- نعم يا سيدي لقد دبر بمهارة! أعتقد أن القاتل طبيب وفى الغالب رجل!
أو يمكن أن تكون سيدة منزل ماهرة! لا تنسى أننا بإحدى محافظات الصعيد أيها..
- الضابط يوسف في خدمتك يا سيدي..
- حسنا يا سيد يوسف..كما أوضحت لك أننا بمدينة صعيدية..
ومن عادة النساء هنا إعداد كل شيء بأنفسهن خاصة ذبح الطيور!
- أتقصد أن..
- القاتل قد يكون رجلا أو امرأة من مقربي القتيلة يا يوسف.. بل ومن أقرب مقربيها!

التوقيت: الساعة الثانية عشرة ظهرا
المكان: مقر مديرية أمن محافظة المنيا..

- إنه لمن دواعي سروري أن تشرف المحافظة بشكل عام..ومكتبي بشكل خاص يا جمال!
- الشرف كله لي يا حضرة العميد..استقبالكم لي بكل تلك الحفاوة يعني الكثير بالنسبة لي!
- عن أي حفاوة تتكلم يا رجل!..لم نفعل شيئا سوى واجب الضيافة!

لقد أمرت أن تستريح اليوم ببيتي وأخبرت من في المنزل بإعداد كل ما تحب من أصناف للطعام..وكذلك رتبت الأمر لصديقك الطبيب سالم..

- لا داعي لكل هذا يا سليم..سأقيم بمنزل والدي!

- ماذا تقول يا جمال، أليست كلها مطارحك.. أليس بيتي هو بيتك إنها مدينتك يا رجل الجميع يعرفك هنا ويتشرف بوجودك وأنت تصر على الذهاب لمنزلكم المغلق منذ سنوات طويلة! ألم تشتق لنا يا جمال.. لم عساك تفعل مثل هذا يا أخي؟!

- أرجوك يا سليم..لا طاقة لي بالكلام الآن.. لم أنم منذ أيام..اللهم إلا ساعتين أو ثلاث كل يوم،

أريد أن أرتاح ببيتي وكذلك سالم يوافقني الرأي، ولا تخف بيتنا ليس بمهجور, فأنا أعمل علي رعايته بشكل منتظم!

- على راحتك يا جمال!

- لا تحزن سآتي وسالم اليوم للعشاء معك في تمام السابعة ولكن رجاءً دعني أنال قسطا من الراحة الآن!

وهكذا ودعا بعضهما بأحضان قوية! على الأقل كانت قوية من طرف سليم وحده!

وذهب جمال للخارج بعدها.. ليجد سالم بانتظاره في السيارة!

- ها قد أتيت أخيرا يا سالم..ستظل دائما رجل الدقيقة الأخيرة!

طوال الطريق لم ينبس الطرفان ببنت شفه..إلا أن قطع الصمت صوت قدَّاحة جمال!

- لم رفضت الذهاب لبيته يا جمال!

نظر جمال باستغراب لوهلة ثم صمت!

- لا تنظر لي هكذا، من المؤكد أنه قد قام بدعوتك لبيته..ومن الواضح أنك رفضت!

والآن أجبني رجاءً لم فعلت هذا؟!

- لنفس السبب الذي دفعك لعدم القدوم معي بالطائرة هذا الصباح!

- جمال لا تفعل أرجوك!

- ما بال الجميع يطلب مني ألا أفعل اليوم..وماذا فعلت أنا من الأساس؟!

- هل أنا من وُلدت أسعى للشقاق والحروب ومقاطعة ذي القربى!

وهل أنا من هجَّرت نفسي عن أرضي وبيتي..وحبي؟!

في تلك اللحظة توقفت العربة فجأة ولم ينطق كلانا بحرف!

- الأفضل منذ الآن ألا نتكلم بشيء حتى يتم حل تلك القضية ونعود للقاهرة!

- القضايا..؟!

- لن نتكلم بشيء حتى نحل تلك القضايا!

- ماذا تقصد؟!

لم تكن جريمة قتل السيدة كوثر اليوم هي الأولى!

يوجد قبلها سيدتان..ولكن الوزارة ومديرية أمن المحافظة قررا التكتم على الأمر لحين حله..خشية من إثارة فزع المواطنين!... إلى أن تكرر مرة أخرى!

في الحي الصامت...!

في البيت جلس كل من جمال وسالم في حالة من التأهب والغضب المكتوم يعتمل داخلهما.. إلى أن بدأ سالم بالحديث!

- حسنا لن أقل لك لم فعلت بما أن هذا السؤال يغضبك بشكل عام..ولكن هلا أخبرتني الآن بما يدور حولنا!
- لقد تمت جريمتا قتل منذ نحو الشهر يا سالم بنفس الطريقة التي قتلت بها السيدة كوثر اليوم..
والتي كما تعلم هي من السيدات الثريات المعروفات بالمدينة... ولكن ما لم تعلمه أن القتيلات كن خادمات نفس السيدة! أي أن البيت بمن فيه قد قتل بترتيب ممنهج ومنظم!
والآن بموت تلك السيدة..أصبحنا أمام ثلاث جرائم!!
تنهد سالم بضيق وجلس على الكرسي المقابل لي دون أن ينظر إلي, بينما بادرتُ بإشعال سيجارة أخرى!
- توقف يا جمال ستموت مختنقا بدخان سجائرك ذات يوم!
- صدقني للأمر منافع, ستتحرر بعد رحيلي، ولن تضطر أبدا للظهور بشخصية د/ واتسون المرافق لشارلوك هولمز عبر مغامراته في عالم الجريمة ودروبه الوعرة!
- يا الله.. أنت لن تصمت أنا أعلم.. هيا تجهز سنذهب لسليم!
- ومن قال أننا سنفعل؟!
- ألم تكن أنت القائل أيها الأحمق؟ ألم تعده بالزيارة في تمام السابعة مساءً من أجل العشاء، وقلت بأنني سآتي معك؟.. هيا قد شارفت الساعة على السابعة..سنتأخر!
- هل ستدخل حقا لبيت سليم! ستدخل بيت عمي!
- نعم!.. وسأصافحه أيضا!
بالنهاية الرجل عم أقرب أصدقائي.. ولن أنسى ذلك ما حييت!
- بقى ثلث ساعة على السابعة إن لم تتجهز سأذهب دونك!

- وتدعوني أنا بالأحمق..وماذا عنك أنت!
(قالها جمال وهو يصعد غرفته ليستعد للذهاب..بينما بقى سالم منتظرا في مكانه!)
- لم لا يملك الإنسان آلية النسيان..؟
- لم لا يمكننا أن نحظى بقليل من السلام حينما نريد..؟
- ألا يكفيني معايشة العذاب مرة! لم علي أن أتجرعه مرات..؟!!
- لم يحيا المظلوم على موعد دائم مع مآسيه؟؟
كان كل ذلك يدور برأسي بينما أحصل على حمامي الدافيء في بيتي القديم!
بيتي الذي هجرته منذ ثلاثين عاما على غير إرادة مني!
هجرته –راغمًا- بأمر عمي وجدي!
جدي الذي رحل عن الحياة بينما صار عمي عاجزا الآن، خاليا من أي قدرة على النطق!
كانوا كالشياطين منذ ثلاثة عقود..والآن دفن أحدهما تحت التراب..و صار الآخر قعيدا لا حول له ولا قوة!

السابعة مساءً..
منزل سليم الذهبي..

كل شيء باق كما تركته..وكأن الزمن لم يتحرك قيد أنملة..
لا شيء مضى..سواي وسواها!
- أين أنتِ يا حبيبتي؟
- متى قدِّر عليَّ كل هذا الكمد يا ربي؟!

- أنـا المحقـق الشـهير الـذي يسـتعان بـه دائمـا فـي حـل معضـلات الجرائـم، الـذي يهـاب كبـار الرجـال تحليلاتـه ويخـاف بطشـه أقـرب أقربينـه..

- أحترق يوميا بنيران الذنب والشوق والندم!

- جمال أهلا بك يا عزيزي!

- أهلا بك يا سليم!

- أهلا بك في منزلنا يا عزيزي سالم!

- أهلا يا سليم!

- هيا تفضلوا سنتكلم ونحن نتناول الطعام!

هـا أنـا أجلـس علـى نفـس الطاولـة مـرة أخرى..طاولـة الذكريـات والألـم!

أراهـا أمامـي فتـاة رائعـة الجمـال فـي الثامنـة عشـر مـن عمرهـا، جالسـة فـي وداعـة شـديدة تتنـاول حسـاءها السـاخن برقـة لا مثيـل لهـا! أبتسـم إليهـا فـي هـدوء كمـا لـو أنهـا لـم تغـادر تلـك الطاولـة أبـدا!

- جمال..

- جمال هل أنت بخير!

أديـر وجهـي ناحيـة الصـوت وبعـده أثـر الابتسـام لـم يبـرح وجهـي كمـا لـو أن شـيئا لـم يتغيـر!

- نعم يا سليم..كما ذكرت لك سابقا، إنه الإرهاق!

- تمام..نأكل الآن ثم تستريح كما تشاء!

- لا وقـت للراحـة علـى كل حال..فلنتنـاول الطعـام سـريعا ونرحـل لإنجـاز العمـل المطلـوب!

كان سـليم يحادثنـي بلطـف شـديد..بينما كنـتُ أنـا جافًـا قاسـيا كعادتـي!

على حين بقى سالم ينظر لهاتفه غير مبال!

- حسنا، لك ما تريد يا عزيزي جمال!

غلب على جِلستنا صمتٌ رتيب حتى دخلت علينا ابنة سليم!

- أهلا بك يا عمي..

- مرحبا بك سيدي الطبيب!

قامت الفتاة بتحيتنا بتهذيب شديد وجلس كل منهما في مواجهتنا!

بدأنا بتناول الطعام وكان من الواضح أنه قد أعد بعناية واهتمام شديدين، فقد كان -للإنصاف- طيب المذاق زكي الرائحة!

- أتمنى أن يكون الطعام قد نال إعجابكم..

لقد قامت جميلة بالإعداد بنفسها عندما علمت بقدومكم!

- إنه شهي للغاية..سلمت يداك يا ابنتي!

هكذا رددت..بينما اكتفى سالم بوصف الأمر بجميل!

كانت فتاة لطيفة ومهذبة تبتسم خجلا في معظم الأحيان وتأكل ببطء كالأميرات!

- كيف حال سلاف؟

(تساءلت الفتاة في ودٍّ ووداعة..)

- بخير يا عزيزتي..لقد حملتني لكِ سلاما خاصا، وتتمنى أن تقومي بزيارتها في أقرب فرصة..هذا إذا سمح والدك بالطبع!

- وهل لي أن أعترض؟ إنها ابنتك مُرها بما شئت!

كنت أرجو في داخلي أن يتوقف سليم عما يفعله معي..لا أريده أن يتحلى بكل تلك الأخلاق في مقابل جفائي البادي!

- أرجوك يا سليم، تكفيني خطاياي القديمة فلا تزدها يا أخي! لعن الله ظلم الآباء والأجداد,,

يظنـون أنهـم بهـذا ينتقمـون مـن فرد..وهـم فـي حقيقتهـم يجنـون علـى أجيـال متتاليـة بأكملهـا!

توقف سالم عن تناول الطعام وكذلك أنا...

ونهض كلانا..

- شـكرا جزيـلا علـى هـذا الكرم..إعـدادك لـكل شـيء كان ممتـازا يـا جميلـة!

- العفو لم أفعل شيئا..لم تأكلوا كما يجب..

- لا لقد أكلنا بالقدر الكافي والآن سنعمل مع والدك قليلا..

ذهبنا لمكتب سليم حاليا..مكتب جدي وعمي سابقا!

ولـم تنقضـي دقيقـة حتـى دخـل أحـد العامليـن بالمنـزل ليخبـر سـليم أن والـده مريـض بشـدة!

همس الرجل في أذنه ولكن الهمس كان مسموعا!

- دقيقة واحدة لن أتأخر، أستميحكم عذرا!

أثنـاء خروجـه دخلـت علينـا ابنتـه تحمـل فـي يديهـا صينيـة محملـة بالشـاي والكعـك!

- تفضلوا!

ابتسمنا لها وانصرفت!

بدأت بشرب الشاي وهكذا بدأ سالم حديثه:

- يبـدو أن والـده مريـض.. لهـذا اسـتئذن منـا سـريعا! شـفى الله كل مريـض..

- طبعا ومن يتمنى غير ذلك!

تناولت فنجان الشاي وناولت الآخر لسالم..

ابتسم بخفة ونظر لي..

- حسنا، انقطع حديثنا بفنجان الشاي..ليت صوت صمتك العالي ينقطع أيضا، سئمت صوت صراخك الداخلي الذي تظن أنه لا يسمعه سواك!

- ما أمرك اليوم يا سالم؟ (تكلمت بنبرة انفعالية)

- هل أصبحتُ أثير غضبك لدرجة أن يزعجك صوت صمتي؟! ما هذا المنطق؟!

أزعجتني طريقته في الحديث..تركته وخرجت لشرفة المكتب أشعل سيجارة أخرى!

كنا في ديسمبر والطقس قارس البرودة في مصر كلها.. وبخاصة في المنيا!

آه.. لا شتاء كشتائك يا مدينتي!

ومع ذلك لم أحتمل الدفء بصحبة سالم وخرجت وحدي لصقيع الشوارع!

- من يصدق أن بيتي – البيت الذي عشت فيه أجمل سنوات عمري- صرت فيه ضيفا بعد كل تلك السنين!!

- كيف يمكن أن يستحيل صاحب الدار إلى ضيفٍ على بيته!

قصري الكبير وقصر أبي وجدي صار منفاي الذي آتيه غريبا بدعوة مسبقة لتناول العشاء!

أين أنتِ يا بسمة..

- أين أنت يا بسمة؟!!....يا بسمة عمري ونورها الذي أُطفيْ للأبد!

- هل تشعرين بي..؟

- هل تنتظرينني..؟

- هل تعلمين متى يحين اللقاء!

- آه لو تعلمين شقائي!..أنا الميت ولستِ أنت يا عزيزتي!
كنت أنفخ دخان سيجارتي دامع العينين،
حتى رأيته..
عمي!! أو بمعنى أصح شبح عمي القديم!
رجل هزيل متهالك، يجلس على كرسيه غير مبالٍ بقرصات البرد التي تأكل عظام أعتى الشباب فما بالك بعظام الشيوخ النخرة!
يجلس تحت قدميه ابنه (سليم) وأمامهم صينية الطعام، يرجوه في تو سل
أن يأكل منها لكنه يأبى!
على ما يبدو أن الرجل قد خسر كل شيء إلا عناده وولعه القديم في إذلال ولده!
ييأس ابنه منه بعد دقائق ويتركه..ولا يرحل قبل أن يقبل يده ورأسه..والرجل ثابت الهيئة كالأموات!
كل هذا كنت أراه بوضوح من شرفة المكتب التي تعلو شرفة غرفته!
كان جدي يحب أن يعلو درجة فوق الناس! لهذا صنع لنفسه طابقا أعلى حتى يسير بخطاه المغترة فوق رؤوس الجميع! ولكن ها هو قد زال كما يزول جميع الأحياء من على وجه الأرض..زال وبقي المكتب لحفيده!
وما إن ذهب سليم حتى رفع بصره تجاهي..على ما يبدو كان يدرك وجودي منذ البداية!
نظر لي نظرته الباردة المعتادة..ونظرت أنا له بنظرتي الحادة المعتادة أيضا..
فقد كل منا الكثير خلال ثلاثين عاما خلت..ولكن الزمن الذي نال

من كلينا لم يستطع أن ينال من عدائنا المتبادل الذي بقي مستعرا في صدرينا!
دلفت إلى المكتب وأغلقت ورائي باب الشرفة!
لقد تجمدت من صقيع الليل القارس على ما يبدو!
- إن كان لي في قلبك ولو ذرة من محبة لا تحدثني الآن يا سالم!
صمت سالم وقطع صمته دخول سليم للحجرة!
- عذرا على تأخري لما لم تتناولوا الشاي..سأمر بتحضير عوض عنه..
- يا.....!
(حاول سليم أن يستدعي خادمًا لإعداد مشروب..)
- سليم..من فضلك لقد لبينا دعوتك الكريمة وأكلنا وشربنا بما يكفي،
هلا عرضت علينا الآن فحوى القضية التي كلفت بحلها من الوزارة!
- لك ما أردته يا ابن عمي سأحضر الأوراق حالا!
هكذا كان الحال دائما..يخرج عمي غضبه علي وعلى أبي بدعم مسبق من جدي وأخرج أنا غضبي من طغيانهم على سليم!
لم يكن له ذنب..
ولم يكن لي كذلك!
ما باليد حيلة..إنه القدر!
دائرة الظلم مستمرة دون توقف، ولن تنتهي!
- حسنا ها هي الأوراق يا سادة..
- باختصار هناك قاتل متسلسل في المدينة! متخصص في قتل النساء..

البداية كانت في منتصف نوفمبر من هذا العام..
من بيت السيدة كوثر القاضي..
كما تعلمون هي سيدة معروفة وتقطن في حيك القديم يا سالم..
تقصد الحي الصامت؟!
نظرتُ إلى سالم في إشارة واضحة كي يصمت..
وطلبت من سليم إكمال ما بدأه!
- حسنا باختصار، بدأ الأمر بقتل السيدة هدى وهي كما تعلم خادمة قديمة من خادمات بيت القاضي..
عُثر عليها مذبوحة بقطع حاد في جانب الرقبة الأيمن..كانت الضربة محددة ومُسددة بمهارة، حسبما ورد في تقرير الطب الشرعي الذي أكد أن الضربة جاءت بيد محترف!
أي أن القاتل..
- طبيب، أو جزار، أوسيدة منزل ماهرة اعتادت ذبح الطيور بنفسها!
بالضبط يا جمال..
وطبعا الدقة والاحترافية في العمل جاءت من اختيار سكين حاد مناسب لإتمام العملية..
وقد توافر يقين لدى الطب الشرعي أن الأداة قد اختيرت بعناية بالغة وضربت بها المغدورة باحترافية شديدة,
أي أن الأمر قد بُيت له بليل..
- تقصد أننا أمام جريمة مع سبق الإصرار والترصد!
- بالضبط يا سالم..
- بدأت التحقيقات..وكالعادة تم سؤال صاحبة المنزل السيدة كوثر القاضي والخادمة الأخرى وتدعى هالة..والتي هي بدورها كما

تعلمـون شـقيقة وتـوأم المغـدورة.. وكلتاهمـا أكدتـا أنهمـا لا يعلمـان شـيئا عـن سـبب خـروج القتيلـة وحدهـا ليلا..خاصـة وأن مـن عـادة مدينتنـا ألا يتجـول النسـاء وحدهـن بعـد منتصـف الليـل..

مدينتنا كما تعلم ينام رجالها بعد صلاة العشاء شتاءً..

فما بالك بنسائها!

- أكمل..

- فـي بـاديء الأمـر لـم نجـد أي تفسـير، خاصـة وأن السـيدة كانـت بكامـل مقتنياتهـا ولـم يسـرق منهـا شـيء!

ولم يفت وقت حتى أدركنا أن الجريمة لم ترتكب في الشارع!

- لقد قتلت السيدة هدى داخل منزل سيدتها!

- بالضبط!

- جمال، سالم : أنا حقا أعتذر عما سأذكره الآن..

- صدقنـي كنـت أتمنـى لـو لـم يتـم تكليفكمـا بتلـك القضيـة ولكـن الـوزارة أجمعـت علـى أنكمـا أنسـب اثنيـن لهـذه المهمـة!

- تكلم يا سليم ما بك؟!

- لقد وجد على فراش السيدة هدي صورة لبسمة رحمها الله وهي قتيلة..

- صـورة التقطـت مـن فريـق البحـث الجنائـي وقـت الحادثـة منـذ ثلاثيـن عامـا!

- صورة لها وهي مقتولة بنفس الطريقة..وملقاة في نفس المكان!

- جمـال، سـالم.. لقـد قُتلـت هـدى بنفـس طريقـة قتـل بسـمة رحمهـا الله..!!

ورميت في نفس المكان...

والـوزارة تشـك أن الفاعـل واحـد، خاصـة بعـد أن قتلـت هالـة بعدهـا بأسـبوعين،
والآن مضـى أسـبوعان أيضـا وقتلـت السـيدة نفسـها بنفـس الطريقـة، ووُضِعَـت نفـس الصـورة!
إن الـوزارة تشـك أن القاتـل عـاد مـرة أخـرى لسـبب لا يعلمـه إلا الله!
ولذلـك اسـتعانت بكمـا لعلمكمـا بكافـة التفاصيـل.. فمـن سـيعلم أفضـل مـن أخ وخطيـب بمـا حـدث!
هذا، بالإضافة لمهاراتكما المعتادة أيضا!
- جمـال.. لقـد عـاد مـرة أخـرى و كل مـا نعلمـه أن أمامنـا أسـبوعين فقـط لمعرفتـه وإلا سنسـاهم فـي دفـن سـيدة رابعـة إن لـم نفعـل!
سـاد الصمـت بيننـا مـدة قصيرة..لكنهـا كانـت طويلـة علـى نفوسـنا جميعـا!
- لماذا لم تتصل بي منذ البداية؟
(قلتها لسليم معاتبا!)
- لو كنت مكاني هل كنت لتنكأ جراح أخيك وصديقك؟
- كيف لي أن أخبركما أن هناك من يدنس ذكرى بسمة رحمها الله؟
- لولا استدعاء الوزارة لك ما كنت لأخبرك أبدا!
صمتنا..لم نجب..نعلم أن معه حق!
- سـليم.. إلـى الآن -ولنكـن صرحـاء- لسـنا علـى يقيـن أن الفاعـل واحـد لـكل الجرائم!
- ربمـا مـن يفعـل ذلـك الآن مـا هـو إلا مجـرد مهـووس أراد تقليـد الأمـر ليحظـى ببعـض شـعبية قاتـل مجهـول حتـى وقتنـا الحاضـر!
- وربما يكون هو نفس الشخص يا جمال وقرر الظهور الآن!
أخـذت ملفـات القضايـا الجديـدة منـه بعـد أن وعدتـه بـأن أكتفـي

بالقراءة فقط وألا أتجول وحدي في المدينة ليلا في محاولة البحث عن أدلة!

-وعدته..وهكذا فعل سالم..

قبل ذهابي للبيت اشتريت كمية كبيرة من القهوة والشاي والسكر وكل ما يمكن أن يصلح لأن يجعلني منتبها لأطول فترة ممكنة!

وبالطبع لم يفوتني شراء كمية كبيرة من السجائر والعصائر وبعض الأطعمة الجاهزة!

ذهبنا للبيت..

أخبرني سالم أنه منهك بشدة وسينام الآن ونتحدث صباحا في هذا الوضع الخطير!

حمدت الله على قراره هذا..لم يكن لي أي قدرة على مناقشته الآن!

تأكدت من أن البيت موصد جيدا..

أحضرت بعض القهوة ووضعت علب السجائر أمامي!

ملفات القضية الجديدة.. مبعثرة على المكتب!

وكذلك القضية القديمة!

لم تغادر القضية حقيبتي قط!

لسبب ما أجهله، كنت على يقين أنني سأحل ذاك اللغز.. يوما ما!

لغز مقتل حبيبتي منذ ثلاثين عاما!

الساعة السابعة صباحا...

اجلس وحدي محاطا بالأوراق بعد أكثر من عشر ساعات متواصلة لا أفعل فيها شيئا سوى القراءة والتحليل وكتابة الملاحظات!

دخل عليّ سالم كي يوقظني إلا أنه قد صدم بمظهري!

رجل شاحب المظهر محاط بالأوراق والأقلام وما يقارب العشر فناجين قهوة فارغين أمامه متناثر بجانبهم بقايا علبتين من السجائر على الأقل!

- جمال، جمال: هل أنت بخير؟!

- القاتل في الجريمتين ليس واحدا يا سالم!

لكن القاتل الجديد يعلم الحقيقة كلها..

ولذلك يرتكب جرائمه!

إنه ليس بقاتل متسلسل..

إنه يحقق العدالة من وجهة نظره..

إنه يقتص لبسمة يا سالم!

***

استيقظت لأجد نفسي في المشفى محاط بسالم وسليم..

وعلى وجه كل منهما تبدو علامات الدهشة والخوف!

- ما الأمر؟

- أين أنا؟

- حمدا لله على سلامتك يا جمال..

- هل أنت بخير؟

- بماذا تشعر الآن؟

كان جسدي يؤلمني بشدة..

لم أعرف كيف أصف لهما معنى الألم..

وللأمانة لم أكن أعلم المصدر الحقيقي لهذا الألم أهو قلبي..أم جسدي!

- أنا بخير! لا تقلقا عليّ..

كان هذا الجواب يغني عن شرح حقيقة ما أعانيه!

جلس الاثنان وبدأت أفهم طبيعة ما حدث..

- لقد قال الطبيب أنك تعاني من إجهاد شديد وتقرحات بالمعدة، نتيجة تناول كمية كبيرة من القهوة..

ناهيك عن السجائر!

- هل علمت الآن لماذا طلبت أن تبقى معنا يا جمال!

- أنت تقتل نفسك في كل فرصة متاحة!

- يا رجل إن لم تترفق بقلب أصدقائك ترفق بقلب ابنتك وأخيك وأبويك!

- أتريد أن تموت يا جمال!

- نعم..أريد أن أموت..ولكن ليس قبل أن أشهد موت قاتل بسمة!

- سأحاول التواصل مع الوزير بنفسي،

لا يمكن أن تكون أنت المحقق المسئول!

- ستهلك نفسك أنت غير مؤهل لتلك القضية..!

- سليم!

- من قتل هؤلاء النساء ليس بقاتل لبسمة!

- هؤلاء السيدات قتلوا انتقاما لقتل بسمة!

توقف سليم ونظر إلي في دهشة، بينما بدأ سالم بالتفكر فيما قلته -باهتمام- لأول مرة منذ جئنا للمنيا!

***

٢١ أغسطس ١٩٩٠..

- عام سعيد يا عزيزي جمال..

ها أنا أفتح عيناي لأجد أمامي أبي وأمي..

كلاهما سعيد وينظر إلي بابتسامة وحنو..

الجـو جميـل والشـمس ساطعة..وسـتائر النافذة البيضـاء تتطايـر مـن حولـي!

يـوم جميـل لا يشـبه أيـام أغسـطس الحـارة.. جـو رائـع يسـتحق الاحتفـال والنزهة....ورؤيـة بسـمة..!

- كل عام وأنت بخير يا قلب ماما..

اعتدلت على السرير وأنا مبتسم..

اليوم هو عيد ميلادي الثامن عشر!

لطالما اهتمت أمي بهذا اليوم اهتماما خاصا..وكذلك أبي..

علـى عـادة أهـل الصعيـد، لا يحتفـل الرجـال بأعيـاد ميلادهم..ولكـن أمـي القاهريـة -كمـا يصفهـا جـدي- اسـتطاعت أن تصنـع توازنـا دومـا مـا بيـن ثقافـة العائلـة وثقافتهـا هـي الخاصـة!

كانـت تحتفـل بـي فـي جـو هـادئ مشـبع بالحـب والحنـان..وكان يشـاركني فـي حينهـا أخـي ورفيـق طفولتـي وصبـاي: ابـن عمـي سـليم..ونظرا لوفـاة أمـه المبكـرة اعتبرتـه أمـي ابنـا ثانيـا لها..حتـى أنهـا قـد أرضعتـه، فصـار أخـا لـي بـكل مـا تحملـه الكلمـة مـن معنـي!

- كل عام وأنت سعيد يا بني..(هنأني أبي بصوته الحاني المعتاد!)

- شكرا جزيلا لكم، كل عام وأنتم بخير!

قبلني كلاهما وطلبا مني أن استعد حتي يرياني هديتي لهذا العام!

كانت حياتي في ذاك الحين.. حياة رخية هادئة..

ما بين قراءة وكتابة خواطر وتمشية مع ابن عمي وصديقنا سالم!

لم يكن هناك ما قد يفسد متعتنا..

غير عمي!

أتذكـر جيـدا ذاك الصبـاح كان آخـر صبـاح عيـد ميـلاد محبـب إلـى نفسـي..

لم أحتفل به بعدها أبدًا!
أخذت حماما باردا..ارتديت ملابسي وذهبت لتناول الإفطار مع عائلتي!
كان من قواعد عائلتنا أن نستيقظ وقت صلاة الفجر لنتناول قدحا من الشاي، ونذهب لأداء صلاة الفجر في المسجد المجاور للبيت..
كان جدي يقدس مواعيد الصلاة وكان الأمر محببا إلى نفسي كذلك، فكنت وما زلت كلما التمست شيئا من طمأنينة النفس وراحة الفؤاد التجأ إلى أقرب مسجد أمامي وأصلي...
يومها، كنت أعاني صداعا شديدا لازمني منذ الليلة الماضي، ولذلك لم أستطع أن أغادر سريري..
ولهذا لم أذهب معهم... في الصباح كنت قد تحسنت ولذلك قررت أن التزم بباقي تقاليد اليوم وأذهب للإفطار معهم في تمام التاسعة!
- صباح الخير..
- صباح الخير يا ولدي..
قبلت يد جدي وتبسمت في وجه عمي وابنه!
- كيف حالك اليوم يا جمال...عساك بخير يا بني..لشد ما حزنت لأني افتقدت وقفتك بجواري اليوم في صلاة الفجر..لقد اعتدت هذه الوقفة الحبيبة إلى نفسي يا بني!
- أعتذر يا جدي، كان الصداع يكاد يذهب ببصري من قسوته، فلم أستطع النهوض من فراشي،
لقد صليت وأنا مقعد من كثرة الإرهاق!
- لا بأس عليك يا بني.. هل استدعي الطبيب ليراك؟
- لا داعي يا جدي لقد تحسنت..

- حمدا لله..
هيا فلتتناول إفطارك بسرعة فلك عندي مفاجأة!
ابتسمت وبدأت بتناول الطعام..
لا أعلم هل كنت أتخيل أم لا!! ولكني دائما ما كنت أرى نظرات حقد في عيني عمي تجاهي..!!
لم أكن متفوقا على ولده في شيء قد يثير غيرته! ولكنه كان مع ذلك يكرهني بشدة..هكذا كنت أحس هذا في داخلي من نظراته!
لم يقل شيئا ولم يفعل شيئا، ولكن نظراته وشت بكل شيء!
بعد الإفطار صحبني جدي لغرفة مكتبه..
- كل عام وأنت قوي يا ولدي..
- تفضل..
وجدت أمامي علبة جلدية فاخرة قد نقش عليها اسمي!
- هذا سلاح فاخر..صنع خصيصا من أجلك! قد أمرت بنقش اسمك عليه!
- شكرا جزيلا يا جدي..
قبلت يده واحتضنته..صحيح أنني لم أكن من هواة حمل السلاح في ذاك الوقت..ولكنها كانت هدية غالية من جدي الذي أحبه!
- عام سعيد يا ولدي بإذن الله!
- جمال....
- تذكر دائما يا جمال أنك أصبحت الآن رجلا..والرجل هو المسئول الوحيد عن سلامة عائلته!
- منذ الآن أنت المسئول عن كل ما يحدث لك ولذويك! الأمر متروك لاختيارك وحكمتك، فلا تلومنَّ إلا سواك إذا أصابهم شيء ذات يوم!

ابتسمت له وتركت المكتب..
ذهبت إلى غرفتي ووجدت الهدايا أمامي..
هدايا أمي وأبي...وسليم..
كانت هدايا أبويَّ هي مجموعة كبيرة من الكتب القيمة..أما سليم فقد أهداني ساعة جديدة..
سعدت بهداياهم..
كان احتفالهم بي بسيطا وهادئا..
هكذا اعتدت من أمي..
تلك السيدة الراقية التي أحبها أبي أثناء دراسته الجامعية..قابلها تحت قبة جامعة القاهرة وجمعت بينهما الدراسة ثم الحب!
تزوجا وأتى بها للمنيا..
كانت فتاة رقيقة، ابنة لأسرة متوسطة من ذلك النوع الذي يحفظ بناء المجتمعات بأصالته وحسن تربيته لأبنائه..
سمح جدي بالزواج حتى لا يخسر ولده الكبير..
لم يوافق..ولم يرفض! إلا أنه تعلم مع الوقت كيف يتقبل زوجة ابنه، خاصة وأنها كانت تحترم عادات العائلة جيدا وكانت تضفي عليها من عاداتها رونقا خاصا، فلم أشعر أبدا بأي تعارض بين الثقافتين..
وقد ازداد تقبل جدي لأمي بعد وفاة زوجة عمي، والتي كانت بالأصل ابنة أخ جدي..
ماتت صغيرة بعد ولادتها لوحيدها سليم بعدة شهور وترك موتها جرحا غائرا في قلب جدي وأبناءه، إذ لم تكن مجرد زوجة ابن! بل كانت تحتل في قلبه مكانة الابنة!
مات والداها وتركاها أمانة لدى جدي الذي تكفل برعايتها

وتربيتها كأبنائه، وعندما حان الوقت زوجها لأحد أبناءه..وما لبثت أن أنجبت سليم بعد أن أنجبتني أمي بعدة شهور..فصارت فرحة عائلة الذهبي فرحتين!

إلا أن تلك السعادة لم تدم طويلا، فقد كسر قلب جدي بوفاة كريمة أخيه المفاجئة..

ومنذ ذاك الحين تولت أمي رعاية سليم، فأرضعته كما لو أنه فلذة كبدها واعتبرته ابنًا ثانيا لها..

وكان لرحمة أمي بسليم وتربيتها له صغيرًا أثرا عظيما في علاقة جدي بأمي، إذ أعلى من مكانتها لديه واعتبرها سيدة المنزل!

حقيقة أنا أدين لأمي بكل شيء..

هي من أرسَت -بحنانها ومحبَّتها وحسن رعايتها- أساسًا متينا لعلاقة قوية بيني وبين سليم، وهي من وسعت -بسعة ثقافتها- مداركي ودفعتني لأحضان الأدب والفنون والتعلق بالتراث...

باختصار، كانت أمي محور الكون عندي، فدائما ما كانت تترك أثرا كبيرا بأفعالها وتسبغ على كل شيء من حولي طابعًا خاصًا، لولاه ما كان لأي شيء في دنياي معنى وقيمة!!

أما عن أبي فقد كان مثلي الأعلى في الرجولة والقوة وحسن التدبير..كان ذلك النوع الصديق من الآباء وكان بحق أكبر داعم لي ولا أذكر أنه قد حدث بيننا أي خلاف جوهري قبل عمر الثامنة عشر..!

أما عن سليم فقد كان يشبهني في كل شيء..

ولا عجب في ذلك فقد عملت على نشأتنا سيدة واحدة.. وما لبث

عمي –بعد وفاة زوجته وتولي أمي رعاية سليم- أن انشغل بالمال عن ولده، فصار عبء تربية الفتيان يقع على عاتق أبي وأمي!
في يوم ميلادي... جاءني أحد الخدم ليخبرني بأن عمي أحضر لي شيئا ويريد مني رؤيته!
ذهبت لحديقة القصر لأجد مهرا صغيرا!
- لقد طلب مني عمك أن أعطيك هذا كهدية يوم ميلادك..عن إذنك!
كان لعمي في تلك المرحلة عادة سخيفة، وهي تكليف أحد خدم القصر بأن يعطيني هدية ما بالنيابة عنه..
دائما ما تكون الهدية مميزة ولطيفة وغالية كذلك، لكن طريقته في المنح كانت –دائما- غير لائقة!
فيبتعث -فيَّ- بطريقته هذه صراعا داخليا بين القبول والرفض!
ولكن عادة ما كنت أقبل عطايا عمي إيثارا للسلام المنزلي ولأنني -في ذلك الوقت- كنت أحب عمي رغم سلوكه اللامبالي تجاهي!
يومها، أخذت المهر ووجدت سليم يقف مبتسما من بعيد..
- أنت من اقترحت على أباك أن يحضر لي ذاك المهر, أليس كذلك؟!
- كل عام وأنت بخير يا جمال..
احتضنته.. وشكرت الله في سري على نعمة ابن العم والأخ والصديق الوفي!
هكذا كنا..وهكذا كان من المفترض أن نبقى..!
- والآن اذهب لرؤية (بسمة).. لقد رأيتها منذ قليل وأخبرتني أنها ستنتظرك في مكانكما المعتاد..

- هيا قبل أن يحين موعد الغداء..وإن سأل عنك أحد سأقول أنك ذهبت للنزهة مع سالم!

كانت بسمة هي توأم سالم صديقي أنا وسليم..

جمال، سليم، وسالم..

هكذا عرفنا في البلدة بالأصدقاء الذين لا يفترقون أبدا!

بدأت صداقتنا منذ الطفولة..

نفس مقعد الدراسة ونفس أماكن النزهة..

كنا كالأخوة لا نفترق حتى وقت النوم..

وكانت بسمة أخت سالم..

تعلق قلبي بها صغيرًا..

أحببتها كما لم أحب إنسانا وهكذا بادلتني هي الحب!

- كل عام وأنت جميل يا جمال!

- أعطتني هديتي على خجل..خاتما من الفضة نقش عليه اسمي واسمها من الداخل!

- إياك أن تنزعه من إصبعك ما حييت!

(لم أنزعه يا بسمة..يشهد الله علي لم ولن أنزعه!

ثلاثون عاما وهو في يدي..

كبرت وتزوجت وأنجبت وطال الشيب رأسي ولم أنزعه!)

- هل أعجبك ذوقي..

- وهل يمكن ألا يعجبني؟!

بعد أن أعطتني بسمة الهدية صمتت قليلا..وذهبت لتجلس أسفل ظل إحدى الشجيرات...

ما الأمر يا عزيزتي..

- أنا خائفة يا جمال؟
- مم؟
- من أن يدري بأمرنا أحد؟
- ومن سيدخل مزرعتي دون علمي..
- أنتِ تعلمين جيدا أن تلك الأراضي كلها ملكي.. لن يزعجنا أحد لا تقلقي.
- لا أقصد جلوسنا هنا..
- بل أقصد علاقتنا كلها..
- أخشى من أن يعلمها أهلك فيبعدوك عني!
ابتسمت لها وأمسكت بيديها في حنان..
- بسمة...بسمتي..
- لا شيء في تلك الدنيا يقدر على إبعادي عنكِ سوى الموت..
- بعيد الشر عنك..
- اسمعيني جيدا.. لقد قدمت أوراقي لكلية الشرطة وكذلك سليم.. وكما تعلمين سيدخل أخوك كلية الطب.
وفور أن أتسلم خطاب الترشيح سأتكلم مع أبي..وسيأتي معي أهلي لخطبتك..
وبعد التخرج سنتزوج فورا..
صمتت..لم تستطع كلماتي أن تضفي في نفسها شيئا من الطمأنينة
- أخشى أن ترفضني عائلتك!
-ولم سيفعلون؟!..لقد أخبرتك أن أمي تعلم حبي لكِ..وهي في صفي وكذلك أبي لن يمانع..
وما مجال الممانعة أصلا!

- أنا لا أتحدث عن أمك وأبيك..أنا أعلم أنهما لا يرجوان سوى سعادتك، ولكن..
- خوفي كله من عمك..
- عمك يا سليم لا يقيم لي ولأخي وزنًا!
- كيف يصلك مثل هذا الشعور!
- هل ضايقك –عمي- أنتِ أو أخيك في شيء؟
- لم يفعل ولكني أحس أنه إن علم بعلاقتنا سيفعل!!
- أنا لست مثلك يا جمال..
- أنا مجرد فتاة يتيمة رحل عنها والداها ولم يبق لها في الدنيا كلها سوى أخيها..
- سيدخل كلية الطب وأمامه مشوار طويل كي يصبح شيئا ما في الحياة..وأنا سألتحق بكلية الآداب و..
- وستصيرين أستاذة جامعية مرموقة –في يوم ما- كما تتمنين وسنتزوج ونبني سويا عشنا الصغير..
- لا داعي لقلقك يا عزيزتي..لم تكن أمي بأفضل منكِ حالا يوم أن كانت في مثل عمرك والآن انظري لحالها الآن بعد أن جمعها الله بأبي وانظري كيف صارت علاقتهما الطيبة مضربا للأمثال!
- يا جمال اسمعني..
- سالم مجرد عامل في مصنع جدك..
- صحيح أنه التحق بكلية الطب وصحيح أنه صديقك لكن وقت الجد لن يسمح عمك وجدك بأن تتزوج من أخت عامل في مصنعهم!
- بسمة.. أنا لن أسمح لتلك الشكوك بأن تنهي علاقتنا..

- سأفاتح أبوي في أمر خطبتنا اليوم ولن أذهب للجامعة دون أن تعلن خطبتنا رسميا!

في المساء جلست إلى أبي وأمي وفاتحتهما –فعليا- في الأمر..

تقبلاني بصدر رحب..وأخبراني أن بسمة فتاة مهذبة وسيرتها الطيبة تجعلها في نظرهم اختيارا مناسبا بالنسبة لي..إلا أن اعتراضهما الوحيد كان أننا ما زلنا صغيرين بعض الشيء وأنه لا بأس من بعض الانتظار..

لكنني طمأنتهم أن الزواج ليس هاجسي الآن وأن طموحي العملي أهم في تلك المرحلة، ولكن كل ما أطلبه حاليا هو مجرد خطبة رسمية وإعلان لعلاقتنا أمام الأهل والأصدقاء..ووعدتهما أن لا زواج إلا بعد التخرج!

- حسنا يا جمال أنا أثق بك وباختياراتك يا ولدي الحبيب..

- لا هم لي سوى سعادتك. سأفاتح جدك وعمك في الموضوع وأعدك أنك لن تذهب لجامعتك إلا مستريح الفؤاد.

شكرت أبوي كثيرا..وشعرت لأول مرة في حياتي بالمعنى الكامل للسعادة..

ولكن..

- أخشى رفض عمى وجدي يا أبي..وكذلك تخشى بسمة!

- جمال: صحيح أنني أحترم أبي وأخي كثيرا وأقدر رأيهما، إلا أنني لا أتخلى عن مساندة ولدي من أجل أحد!

- سأفاتحهم في الأمر..

بعد كلامي مع والدي، نزلت لبهو القصر وهناك وجدت عمي قد عاد مؤخرا من عمله..

- مساء الخير يا عمي..
- أهلا يا جمال..ما الذي يبقيك ساهرا حتى الآن..
- لا شيء..فقط أردت انتظارك لأشكرك على هديتك لي..
- المهر جميل جدا..سلمت يداك يا عمي..
- أهذا ما يبقيك ساهرا؟ على كل حال الأمر برمته اختيار سليم..
- أنا لا أهتم بأعياد الميلاد من الأساس!

(كان جافيًا كعادته)

ابتسمت..

لم أجد ردا مناسبا يلائم فظاظته تجاهي سوى تصنع الابتسام!

- ولكن من الجيد أنك ما زلت مستيقظا..
- لدي خبر جميل سيسعدك!
- خيرا يا عمي..
- خيرا يا ولدي..أنا لا أتي سوى بالخير!
- أتذكر شريكنا السيد/ فاضل؟
- نعم ما به؟
- أنت طبعا تعلم مآثر الرجل وأفضاله علينا ولولا مشاركته لنا لكنا أشهرنا إفلاسنا منذ ثلاثة أعوام..
- الرجل له ابنتين وحيدتين لا ولد له ولا عصبة..وأنت تعلم طبعا أن المال سيذهب في النهاية للفتاتين..

لذلك رأيت أنه من الصواب أن تتزوج أنت وسليم من فتيات السيد فاضل!

- ولكن يا عمي..
- لا تخف..أنا لا أقول زواجا في الحال..

- لازال أمامكما مشوار طويل في كلية الشرطة بإذن الله..
- نخطبهما لكما هذا الصيف وبعد التخرج تتم الزيجة كاملة!
- يا عمي أي خطبة وأي زيجة التي تتحدث عنها..أنا حتى لا أعلم شكل من تتحدث عنهما!! فكيف بالله سأتزوج واحدة منهن؟
- وهل هذه مشكلة يا ابن أخي..ستتعرف إليهن..ولك عندي أن أترك لك حق الاختيار..
- إن الفتاتين في عمر متقارب ما زالتا في المرحلة الثانوية!
- عمي: أشكرك على اهتمامك بأمري دائما وأنا حقا أحبك وأقدرك..ولكني قد اخترت بالفعل الفتاة التي أود خطبتها..
- ماذا؟!!..ومن تكون تلك الفتاة؟
بسمة يا عمي..
- بسمة من؟ توأم صديقك العامل؟
- عمي من فضلك صديقي ليس عاملا..إنه طبيب..يعمل ليعيل نفسه وأخته وهذا مدعاة للفخر لا للسخرية..أرجوك لا تهنه ولا تنل من قدره أمامي!
- اخرس..اخرس أيها الأحمق..
- أتتصور أنني أقضي ليلي نهاري أعمل و أفكر وأدبر كي يكبر اسم عائلتنا، ثم في نهاية المطاف يأتي أحمق مثلك ليهدم بنياني؟
في تلك اللحظة رأيت أمامي الوجه الحقيقي لعمي..
رجل بغيض قميء، لا ينظر لشيء في دنياه سوى المال، يراني أنا وولده مجرد أدوات للوصول لأهدافه..
- عمي من فضلك توقف عن الصراخ أنا لن أتزوج غير بسمة!
- وأنا غير موافق وتلك الزيجة لن تتم ما حييت.

- ستتم يا عمي أبي وأمي قد وافقا وانتهى الأمر..ستتم!
ومـا إن أنهيـت كلماتـي، حتـى شـعرت بيـد كالمطرقـة تهـوى علـى وجهـي..
وقف الزمن لدي في تلك اللحظة!!!
ليس من أجل الضربة ذاتها..ولكن لأنها أتت من حيث لم أتوقعها!
- اخرس يا كلب..
كان عمـي قـد دخـل فـي حالـة غضـب هيسـتري فأخـذ يسـب ويلعـن ويكسـر فيمـا حولـه..
وما هي إلا ثوان حتى اجتمع أهل البيت!!
- عادل ما الأمر؟
نظر إلى جدي لثوان معدودة استطاع منها أن يفهم ما جرى..
- هل ضربته يا عادل..ضربت ابن أخيك؟
- لماذا؟ ماذا فعل؟!
- هـذا الكلـب عديـم التربيـة يعاملنـي معاملـة النـد! ولكـن مـاذا يمكننـي أن أقـول هـذه نهايـة ربايـة الحريـم!
- تكلم معي بشكل جيد يا عمي ولا تهن أمي مرة أخرى!
- اخرس يا...
رفع عمي يده مرة أخرى وحينها وجد يد أبي تمنعه!
- إيـاك أن ترفـع يـدك علـى ولـدي مـرة أخـرى..إن كان لأحـد فـي هـذه الدنيـا حـق تأديبـه فهـو أنـا ويشـهد الله أننـي قـد حرمـت إهانتـه علـى نفسـي ولـن أسـمح لغيـري أن يفعـل!
- عادل..لن أسمح لك أن تضرب حفيدي مرة أخرى أنا أحذرك..
- بدأ عمي يشعر بأن الجميع ضده..

أبـي وجـدي يمنعانـه عنـي مـن ناحيـة وأمـي وسـليم يقفـان بجانبـي مـن ناحيـة أخرى..ولذلـك هـدأ غضبـه تدريجيـا..

- حسنا يا أخي..قالها وهو ينزع يده برفق من يد أبي..

- مـادام أنـه ولدك..كيـف تسـمح لولـدك بـأن يطمـح للـزواج مـن مجهولـة نسـب!

- بسمة ليست مجهولة نسب يا عادل..

- بسـمة فتـاة مهذبة..وهـي تـوأم صديـق ولـدي وولـدك بالإضافـة إلـى أننـا كنـا نعلـم والديهـا رحمهـم الله..

- ولدي اختار وأنا أؤيده ولا شأن لك في الأمر!

- عادل، يوسف.. توقفا عن الجدال واشرحا لي ماهية الأمر فورا!

- أنا من سيشرح لك يا جدي! بما أنني أنا من ضُربت!

- باختصـار، أنـا معجـب ببسـمة تـوأم سـالم صديقـي، وأريـد الـزواج منهـا وقـد تكلمـت مـع أبـي ووافق..ووعدنـي أنـه سـيخطبها لـي..

- الآن فوجئت بعمي وقد خطب لي ابنة شريككم!

- وكذلك أنت ستتزوج أختها بالمناسبة يا سليم!

هـذا مـا رآه أبـوك مناسـبا لكلينـا! ولمجـرد أننـي قلـت لا، ضربنـي ووصفنـي بأننـي ربايـة حريـم!

- عادل ماذا فعلت؟!

- لقد اتفقنا ألا تعلن شيئا الآن؟

- هكذا جاء رد جدي...

- ماذا!

- ماذا تقول يا جدي؟

- ومـاذا كنـت تظـن يـا حفيـدي؟ أننـا سـنترك أموالنـا تذهـب لرجـل غريـب!

- جـدي إنهـا ليسـت أموالنا..إنهـا ثـروة الرجـل ونحـن فقـط مجـرد شـركاء لـه فـي مشـروع مـا..
- وإن تزوجت فتياته من رجل غريب ألن يضر هذا بمشاريعنا!
- تـزوج إحـدى الفتاتيـن يـا ولـدي وليتـزوج سـليم الثانيـة وفـي النهايـة كل تلـك الأمـوال سـتذهب لكمـا!
- جدي أنا أريد أن أتزوج من بسمة!
- أنت ما زلت صغيرا يا حبيبي لا تدري أين مصلحتك..
- أنـت الآن غاضـب لأن عمـك قـام بضربـك وهـذا تصـرف خاطـئ لا أوافقـه عليـه وأعـدك بـألا يتكـرر ثانيـة..
- اذهب للنوم الآن يا عزيزي ولنتحدث صباحا!

تركت جدي..وغادرت! وكذا فعل سليم ومن خلفه أمي!

ذهبت لغرفتي ولم أكد أدخلها حتى تناهى لسمعي قول جدي!

- ماذا أصابكم؟ هل تتنازعون أمام أبناءكم؟
- وأنـت يـا عـادل كيـف تضـرب ابـن أخيـك هـذا لا يجـوز! لا أقبـل بـه هنـا!
- غدا تطيب خاطره..
- لا تحزن يا يوسف.. سأنهى هذا الأمر، هيا اذهب لولدك!

انصـاع أبـي لكلمـات أبيـه ورحـل وبقيـت وحـدي أرقـب المشـهد مـن بعيـد!

- أيها الأرعن ماذا تفعل؟!
- أنت لم تتعلم شيئا من أبيك؟ هل رأيتني أضرب أحدا يوما..
- هل ضربتك أو أخيك في يوم من الأيام؟
- هـل فـي الكـون كلـه رجـل عاقـل يعـرض علـى أحدهـم الـزواج وهـو يضربـه؟! أيـن فطنتـك وكياسـتك يـا هـذا؟!

- أنا وأنت نعلم جيدا كم أن الولد مغرم بتلك النكرة بسمة..ونعلم جيدا عنهما وعن اللقاءات السرية بينهما في الحديقة، كما تعلم جيدا أن ولدك يسانده في الأمر. ثم وتأتي أنت بكل حمق ورعونة الآن وتخبره بأنه سيتزوج من تريدها أنت بهذا الغباء؟ ألم تتعلم من أبيك شيئا قط!

- لو كانت أمور الحياة هكذا تدار، لكنت أول من هشم رأسيكما في الصغر..

- اسمعني هذا الأمر سينتهي وإن كلفني حتى إخفاء هذه الفتاة من على وجه الأرض، ولكن تذكر..

نحن لا نخسر أبناءنا من أجل الغرباء!

سرى الرعب في جسدي عند سماعي لكلمات جدي..كيف تسنى له أن ينطق بمثل هذه الكلمات؟؟

الحاج حسين الذي لا يفرط في أداء فريضة، يفكر في إيذاء فتاة صغيرة لا حول لها ولا وقوة!!

يا الله ماذا صنعت!

لم أنم تلك الليلة..

كان الخوف يقتلني على بسمة وسالم..

ظللت مستيقظا حتى موعد صلاة الفجر،

توضأت ونزلت لتناول الشاي وبعض الطعام الخفيف مع جدي كأن شيئا لم يكن..

وأثناء صلاتي دعوت الله أن يحفظ أحبتي..

وألا يريني فيهم مكروها أبدا.

بعد الصلاة اصطحبني جدي لمكتبه وبدأ يعاملني بتدليل زائد لا

يتناسب مع تلك الطبيعة الشرسة التي رأيته عليها -في حديثه لعمي- ليلة أمس!

- لا أريدك أن تغضب من عمك..

- إنه يحبك كأبيك تماما لكنه حاد المزاج قليلا..

- أخذ مني الحكمة في العمل والتجارة ولكن في لين الجانب والرفق ولطف المعاملة لم يأخذ شيئا البتة!!

- لا تحزن يا ولدي..

- هل أنت متأكد من حبك للفتاة بسمة؟

لم أنطق..

- يا ولد تكلم، أنا أريد أن أفهم ما تريده حتى أحققه لك..

- نعم يا جدي..

- حسنا أنت تعلم أنه لا يمكنك الزواج وأنت ما زلت طالبا في كلية الشرطة..

ما رأيك أن نخطب لك الفتاة الآن؟ وتتزوجها بعد التخرج!

نظرت له غير مصدق..

- ماذا؟

- ما بك أليس هذا ما تريده؟

الفتاة طيبة وأخوها صاحبك وصاحب ابن عمك..وكلها مسألة وقت وسرعان ما يصير طبيبا!

والفتاة أيضا ستدخل الجامعة..سمعت أنها ستلتحق بكلية الآداب!

- صحيح..

- حسنا، إذا هي فتاة كاملة من كل النواحي..تعليم وتهذيب ولها في قلبك مكانة كبيرة..

- أبوك وأمك موافقان صحيح؟
- نعم يا جدي..
- إذا على بركة الله اعتبر الأمر مقضيا بإذن الله..
- سنخطبها لك قبيل سفرك ولتتم الزيجة بعد الجامعة..وبإذن الله تعيشان بيننا وتتسلم عملك أنت وسليم في مدينتك، لقد سمعت أن الأوائل يختارون أماكنهم! أليس كذلك؟
- عليك أن تكدح وتتعلم جيدا حتى تبقى في أحضان عائلتك!
- هيا اذهب ولا تُحزن نفسك، سأفعل ما ترجوه!
- وعمي..
- أنا أدرى بولدي سأقنعه بطريقتي، في نهاية الأمر هو ولد صالح لا يعارض أباه!
- شكرا جزيلا يا جدي..

قبلت يده..كنت فرحا بشدة! ولثانية واحدة تناسيت كل شيء!

ربت على ظهري في حنو وقبل رأسي، وطلب مني أن أذهب لأخبر صديقي أننا في طريقنا لخطبة أخته!

صدقته..كنت فتى ساذجا.. تناسيت همس البارحة، وآمَنتُ بوعد اليوم.. وأمِنتُ مكر الغد!

***

- ألف لا بأس عليك يا عمي..

(سحبتني برقة صوتها من بحور الذكريات..)

- سلمك الله يا حبيبة عمك..تعالي يا جميلة.
- تفضل؟
- ما هذا؟

- بعض الطعام، لقد أعددته -خصيصا- من أجلك.. لقد أخبرني بابا أنك مريض ولديك انسداد في الشهية..

- يجب أن تأكل يا عمي أرجوك..

قبلت رأسها وشكرتها على صنيع يديها..

لم أتعبتِ نفسك يا ابنتي؟

- في الحقيقة أنت من تتعب نفسك يا عمي، طوال عمري وأنا أراك ترهق نفسك..

هذا ليس رأيي أنا فقط..أنا وسلاف نرى ذلك!

- عمي: أرجوك من فضلك..ترفق بنفسك نحن نحبك كثيرا ولا نريد أن يصيبك أي مكروه!

على الرغم من الشرخ الكبير الذي حدث في علاقتي بسليم إلا أن هذا لم ينل من محبتي لابنته..

كما أن علاقتها بابنتي كانت قوية للغاية!

- تعال معنا أرجوك..إنك تحتاج لعناية..من فضلك!

ابتسمت وتناولت قليلا من الطعام إكراما لصنيعها واستدعيت الطبيب ليكتب لي تصريحا بالخروج!

- خروجك من هنا فيه مخاطرة فأنت تعاني من...

- أنا أعاني من ثلاث جرائم قتل لم تحل إلى الآن..وقد استدعتني الوزارة لأمسك بالقاتل لا لأقوم بسياحة علاجية في المنيا!

تفهم الطبيب أمري وأذن بخروجي..وقد تم هذا بعد أن أخذت منه جميلة كافة التعليمات ووعدته بأن تكون ممرضتي الخاصة!

ذاكرت جميلة جيدا مواعيد الدواء ودونت لها منبهات على هاتفها الجوال..

- يا ابنتي ماذا تفعلين..؟!

- أسجل مواعيد الأدوية، لن تتناول دوائك في موعده أعلم هذا، وسلاف ليست معك لذلك أنا من ستتابع معك جرعات الدواء حتى تشفى بإذن الله..

- دائي بروحي لا بجسدي يا ابنتي!

كانت تنظر لي وتصمت..لا تعرف ماذا تصنع غير الصمت!

أوصلتها للبيت وهناك وجدت عمي يجلس أمامي في الحديقة!

لم أعِره اهتماما تلك المرة..

- عمي سأتصل بك من أجل مواعيد الدواء..

هناك مواعيد بعد منتصف الليل..أعتذر حقا لأنني سأزعجك في هذا الوقت ولكن يجب أن أهاتفك لأذكرك!

والطعام سأعده خصيصا كما أراد الطبيب وأتوسل إليك أن تأكل، لقد سمعت تعليمات الطبيب..

كنت أنظر إليها وأضحك..كانت تشبه ابنتي سلاف إلى حد كبير..

ولا عجب فهما ابنتا عم وخالة في آن!

ووعدتها أنني سأنفذ أوامرها..

- عمي لن أخبر سلاف ومقابل ذلك ستتناول دوائك كما أمر الطبيب!

تساومينني يا فتاة؟ حسنا أنا لا يهمني مئة مثلك ومثل سلاف!

ضحك كلانا..

كنت سأنفذ أوامرها لأنني أحبها حقا..

وهممت أن أركب سيارتي حتى سمعت صوته!

- عساه خيرا يا ابن أخي..

- قيل لي أنك مريض..

- حـاذر علـى نفسـك..كما تعلـم فبلادنـا لا تعتـرف بضـرورة ذهـاب أحدهـم إلـى المشـفى إلا سـاعة الاحتضـار!
- جميلة اذهبي أنتِ الآن يا عزيزتي..نتكلم لاحقا!
استمعت الفتاة لكلامي ورحلت..
كانت تعلم أن هناك شيئا ما بيني وبين جدها..لكنها لا تعلم ماهيته!
كانت تخشاه..لذلك ما كان منها إلا الانسحاب لحظة رؤياه!
- اطمئـن يـا عمـي لـن أمـوت الآن! ليـس قبـل أن أقبـض علـى ذاك القاتـل!
- اه القاتل..
- قاتـل بسمة..عسـاه خيـرا يـا بني..لقـد مـر عُمـر طويل..أحيـا الله فيـه عبـادا وأمـات آخريـن ومـا زلـت أنـت تبحـث عـن قاتـل خطيبتـك!
- اسمع يا سيد/عادل:
يعلم الله وكلانا أنك أنت وأبوك من أمرتم بقتلها..
ولكن من نفذ الأمر؟ أنا لا أعلم
لكنـي أعـدك أن أعثـر عليـه وأحاسبه..وأحاسـبك أنـت الآخـر! وليتكفـل رب السـماوات والأرض بـأن يقتـص لـي مـن أبيـك لا رحِمـه الله!
والآن اذهـب لتجلـس فـي مقعـدك أيهـا الخَـرِف وإيـاك مـرة أخـرى أن تعتـرض طريقـي!
- أيهـا القاسـي القلـب سـتموت وأنـت مفتـوح العينيـن متحسـرا علـى مـا فاتـك ومضـى!
- كل أمنيتـي مـن الله أن أبقـى حيـا حتـى أراك تدخـل قبـرك أنـت وفتاتـك!
مـا إن جـاءت سـيرة ابنتـي حتـى انقضضـت عليـه ممسـكا بذراعـه فـي حـدة شـديدة!

- اسمعني جيدا.. إياك أن تتجرأ ويأتي لسانك بسيرة ابنتي مرة أخرى!
- ابنتي هي أغلى علي من روحي وعملي وكل ما أملك..
- أقسم بربي وما أعبد أنني سأكون قاتلك إن تجرأت على مسها ولو بالقول!
ضحك وهو ينظر لي..وفجأة بدأت استوعب ما أنا فيه..
أمامي رجلٌ هرم يرغب أن يشهد موت عدوه ولا يملك شيئا سوى الانتظار!
تركت يده وركبت عربتي وانطلقت نحو مقر مديرية الأمن!
في المديرية وجدت سالم وسليم يدرسان القضايا معا..
- أنت ما الذي جاء بك إلى هنا؟
- سليم، لا تتعب نفسك..فلنحمد الله أنه مكث عدة ساعات في المشفى من الأساس!
- لم لا تفعل مثل سالم؟ لقد اعتاد طريقتي في الحياة أتمنى أن تعتادها أنت الأخر بدلا من أن نضطر لدفن الضحية الرابعة!
- مبدئيا ما رؤيتك للأمر يا سالم؟
- تطابق تام بين مقتل بسمة ومقتل سيدات المنزل..نفس عمق الجرح..نفس توقيت الوفاة تقريبا..
والأهم أن جميعهن قد وجدن في نفس الرقعة التي وجدت فيها بسمة!
- سليم، ما تحليلك؟
- القاتل واحد.. لا تفسير أمامي غير هذا..!
- حسنا..كلاكما لم يفهم ما أعنيه!

- كل ما تقولانه أعلمه جيدا، باستثناء أن القاتل واحد..
- سالم، سليم، القاتل هو شخص يعلم جيدا كل ما حدث لبسمة.. يعلم ملابسات علاقتنا نحن الثلاثة بها، والأهم أنه يعلم كيف وعلى يد من قتلت!!
- القاتل شخص منتقم..يعلم أدق التفاصيل التي لم يرد ذكرها سوى في أروقة أقسام البوليس والطب الشرعي!
الشخص المنشود يعلم أكثر بكثير مما ورد ذكره في الأوراق والأهم أنه ليس الشخص ذاته!
- إنه شخص قريب، قريب منا ومن بسمة رحمها الله، قريب لدرجة أننا لا نراه!
- القاتل شخص نعرفه جيدا.. والقتيلات يعلمن شيئا ما عن موت بسمة!
- لا تنسوا إنهن ساكنات الحي الصامت.. ومن المؤكد أن لهم علاقة بما حدث..
- إنها مسألة وقت!
حاولت النهوض من مكاني إلا أنني شعرت بوجع شديد..
لاحظ كل من سالم وسليم حالتي فأصرا علي أن أعود للبيت!
عندما عدت وجدت جميلة قد أحضرت الطعام لهناك!
- ابنتك تهتم بنا كثيرا يا سليم..رجاءً أشكرها نيابة عنا!
- سأذهب لارتاح الآن وأنت يا جمال أرجو ألا أفتح عليك باب الحجرة غدا وأرى حولك كل تلك الكميات من الكافيين!
ضحكنا.. ذهب سالم لغرفته بعد أن أنهى كلماته وبقيت أنا وحدي جالسا مع سليم!
- جمال أنت متعب!

- نعم أنا متعب ولن أرتاح إلا في قبري!
- لا تقل هذا أرجوك..
- لقد أخطأت يا سليم..أخطأت بحقك لدرجة أن اعتذاري سيكون بلا معنى..
- لم أجد أمامي سواك لأفرغ غضبى..
- لم يكن الذنب ذنبك يا جمال! بل كان ذنبي.. لقد صمتُّ..صمت على جرم أبي وجدي!
- لم أستطع منعهما!
- لم أستطع إنقاذك أنت وبسمة!
- سليم، اسمعني جيدا..
- أنا أشعر بدنو أجلي ولا أريد الموت دون مصالحتك..
- أنت أخي ورفيق دربي وشريكي في أشياء كثيرة.
- عندما ننتهي من هذا عدني بشيء واحد:
أنه مهما حدث فلن نخسر بعضنا البعض مرة أخرى!
انهمرت الدموع من عيني سليم واحتضن بعضنا الآخر بقوة..
وشعرت في حينها -برغم الألم الشديد- بشعور جيد لم أعهده في نفسي منذ سنين!
لقد استعدت أخي مرة أخرى!
مر نحو عشرة أيام لم نستطع أن نصل فيهم لشيء!
لم ير أحد شيئا، تماما كما حدث وقت مقتل بسمة!..

١ سبتمبر ١٩٩٠

ذهبنا لبيت سالم وبسمة..

كانت سعادتي لا توصف ولا تقدر بثمن..
وافق سالم طبعا فقد كان يحب أخته وفرح لها من كل قلبه وتمت الخطبة!
قُبلت أنا وسليم في كلية الشرطة..
وسافر كلانا! وانتظم كل من سالم وبسمة دراستهما..
ظل الوضع هادئا لفترة، أرى بسمة كلما جئت أنا وسليم في إجازة من الكلية، وأقضى سائر الوقت مع عائلتي..
أحبت أمي بسمة وأصبحت تهتم بها في أثناء سفري..
الجميع سعداء وأبي يساندني كالعادة..
جدي ثابت انفعاليا لا يبدي ما بنفسه..
بينما عمي يبتسم أغلب الوقت بشكل مريب!

- سعيد أنت الآن يا جمال..
- الحمد لله يا عمي..
- حسنا افرح ما دمت تستطيع، فالحياة صعبة يا ولدي ولحظات الفرح بها عزيزة!
لم أفهم كلماته أو للأمانة عَبَرتني ولم أتوقف أمام المعنى كما يجب!

***

- جمال..سليم، انتظراني..
هكذا وجدتها أمامي في إحدى المرات وأنا مسافر في بداية شهر ديسمبر !
- ما جاء بكِ إلى هنا؟

تساءلت وأنا متعجب..

- يجب أن نتكلم..

- حسنا سأنتظرك أنا في القطار يا جمال..

تركنا سليم وسبقني للقطار..

- ما الأمر؟

- جمال أعلم أن ما أقوله ليس منطقيا ولكن..

- رجاءً احترس من عمك..

- عمي..ماذا فعل لكِ؟

- لم يفعل..حتى الآن!

ولكن..

- تكلمي ما الأمر..

بدأت تبكي وهي تضع يدها على فمها..

- تكلمي أرجوكِ..

- إنه يريد إبعادي أنا وأخي سالم عن بيتنا..

لقد سمعته يتحدث إلى جدك قائلا أنه إن لم يتصرف ويُبطل تلك الزيجة، فإنه سيخرجنا من بيتنا وأرضنا..

ولكن جدك أخبره ألا يتسرع وأن برأسه تدبير آخر..

- ماذا؟

- لن يفعل لكِ شيء..

- لن أسافر سأبقى هنا..

- لا! سافر الآن، فقط احترس.

- كل ما أريدك أن تعلمه أنني لن أتركك..

إذا جئت ولم تلقني فاعلم أنه ليس ذنبي وأن شيئا ما قد حدث..

- أنا أحبك يا جمال ولا أريد تركك..
- الموت أهون عليّ..
أمسكت وجهها ورجوتها أن تهدأ..
- لن تتركيني ولن تموتي..
- أنتِ خطيبتي..وستكونين عما قريب زوجتي..
- لن أسافر.. سأبقى معك..
- لا أرجوك، لا تفعل!
- اذهب، ستعاقب إذا لم تسافر، وربما تخسر درجات كثيرة
- رجاءً، ارحل..ولكن لا تنس ما أخبرتك به!
- وداعا يا جمال..
بدأ القطار من وراءنا ينذر بقرب رحيله..
- جمال هيا..
هكذا ناداني سليم..
- اذهب..
- مع السلامة يا جمال..
انتزعت –برغمي- يدي من يدها وبقى نظري معلقٌ بها حتى رحل القطار..
كانت هذه أخر مرة أراها فيها..وهي حيَّة!

مر إلى الآن اثني عشر يوما..التحقيقات لا تؤتي ثمارها..لا أحد يفهم ما علاقة الثلاث جرائم ببعضهم البعض والأخطر أنا لا نعلم بحق متى سترتكب الجريمة الرابعة! والأسوأ أنني أشعر بأن صحتي كانت تسوء أكثر وأكثر..

لـم أكـن عاجـزا بهـذا الشـكل مـن قبـل..إلا أننـي كنـت أتحامـل علـى نفسـي كـي أبـدو بخيـر..

أخاطب ابنتي وزوجتي ووالديّ يوميا لأخبرهم أني بخير..

يصدقني الجميع ما عدا أبي..

- قلبي يحدثني بأن بك مكروها ما!

- لا تقلق يا حبيبي ولدك بخير.

- ادع الله أن أحل هذا الأمر كي أعود لحضنك قريبا!

كلانا يعلم أني كاذب..

سليم، جمال..لم يتبق سوى يوم..!!

لا حل أمامنا سوى تأمين مكان الجرائم المعتاد..

وهـذا مـا فعلتمـاه مـن قبـل ولـم يتحسـن الأمـر، بـل ازداد معـدل الجريمـة أكثـر وأكثـر..

- آآآآه..

(تأوهت بصوت عال بينما أتحدث!)

- جمال ما بك؟

- لا شيء..

(تلاحقت أناتي مدويةً..)

- سليم اتصل فورا بالإسعاف!

- جمال بماذا تشعر؟

- جمال، أجبني..

وضعت رأسي على كتف سالم وشعرت بأن روحي تنتزع مني..

وبـدأت أرى طيـف بسـمة أمامـي..ولأول مـرة منـذ سـنوات شـعرت براحـة غريبـة..

- ترى، هل حان موعد لقائنا يا عزيزتي!

***

ظللت جالسا في الكلية لا رغبة لي في شيء!

كنت قلقا بشدة على بسمة..

لا أفهم معني كلمات عمي وجدي..

تذكرت حديثهم القديم الذي استمعت إليه خلسة منذ عدة أشهر..

- يا الله! كم أنا أحمق ليتني لم أسافر..

- ماذا سافرت وتركت الفتاة وحدها..لماذا!

إلى أن أتى موعد إجازتي الأسبوعية ونزلت للمنيا..

كان الحزن يخيم على كل من يقابلني ويعرفني من أهل المدينة..

شيء ما جعلني أسرع الخطى للمنزل لأستبين ما يجري..

وما إن وصلت للبيت حتى وجدته يعج برجال الشرطة!

رفـع أبـي وأمـي رأسـيهما ونظـرا لـي فـي حـزن عميـق! بينمـا بقـى جـدي وعمـي صامتيـن يعلـو وجهيهمـا نظـرات محايـدة بـلا أيـة تعابيـر!

- جمال وسليم أليس كذلك..

- حمدا لله على سلامتكما، من الجيد أنكما قد أتيتما الآن..

- كنـت سـأبعث بطلـب لكليـة الشـرطة حتـى يسـمحوا لكمـا بالعـودة لحضـور التحقيقـات!

- تحقيقات حول ماذا؟

- بابا ما الأمر؟!

لم ينطق أبي ورد الضابط عوضا عنه!

- سيد/ جمال باختصار خطيبتك الآنسة (بسمة) مختفية منذ البارحة! وقد تقدم أخوها ببلاغ عن اختفائها..

وها نحن نحقق في الأمر؟!

ما إن قال الضابط كلمته.. حتى شعرت بالدم يغلي في عروقي.. نظرت لعمي بغضب شديد ولم تفت ثانية حتى اندفعت نحوه وجذبته من ملابسه وأخذت أدفعه بعنف شديد!

صرخت أمي وهرع أبي لإمساكي هو والضابط!

- ماذا فعلت بها؟؟

- أين بسمة؟

- ماذا فعلت أنت وجدي،

- انطق ماذا فعلت؟!

- اهدأ يا بني أرجوك..

- لن أهدأ يا أبي، لقد جاءتني بسمة في منتصف الليل قبيل سفري تروي لي أنها تتخوف على نفسها من عمي وجدي اللذين سمعتهما وهما يخططان لإبعادها وأخيها عن بيتهما!

- أين خطيبتي؟!

- أقسم بالله إن كنت قد ألحقت بها أي ضرر فسأكون قاتلك لا محالة!

- اهدأ يا بني رجاءً..

- جمال اهدأ..

- لن أهدأ.. لن أهدأ!

- أين بسمة؟

بصعوبة أبعدَ الجمع عمي وانتزعوه من بين يدي!
كان الضابط ينظر بحسم ناحية جدي..
كان كمن أمسك بيديه خيط البداية لجريمة لم تتضح معالمها بعد!
أشعل سيجارته في هدوء ونظر صوب عمي..
- سيد عادل، هل يمكنني أن أجد لديك إيضاحا ل ما قاله ابن أخيك الآن!
- ماذا يمكنني القول؟!!
- كلام مرسل غير ذي معنى..على كل حال أنا مقدر للحالة النفسية التي يمر بها ابن أخي، ولن أعاتبه على ما فعله الآن!
- لن تعاتبني أيها الوغد..أين خطيبتي؟!
- سيد جمال اهدأ..
- أنت طالب في كلية الشرطة لا يجب أن تفقد أعصابك هكذا!
- أجبني من فضلك سيد عادل..
- ما قصة حديثك مع والدك عن إخفاء خطيبة ابن أخيك؟
- كما قلت لك هذا كلام مرسل..
- ابن أخي أمامي يدعي أن الفتاة جاءت تشكوني أنا وأبي إليه، وأنا أقول لك أني لا أعلم شيئا..
- كلمة أمام كلمة!
- لا يا أبي ليست كلمة أمام كلمة..بل كلمتان أمام كلمة!
- أنا شاهد على مجيء بسمة لنا في المحطة حتى تستغيث منك ومن جدي!
نظرت لسليم وأنا متعجب لأمره!

كانت تلك هي المرة الأولى التي يتدخل فيها ويناصرني في شيء!

- لن أصمت يا جمال..تلك المرة لن أصمت..

- أنا معك حتى نجد بسمة!

- وما ذنبي يا ولدي إن جاءت فتاة تشكوني لابن أخي..أنتما مرهقان من صدمة السفر واختفاء الفتاة..

- كما ذكرت لك يا حضرة المحقق أنا لا أعلم شيئا ولا يوجد دليل على غير هذا!

- عن إذنكم، أنا متعب قليلا وأريد أن أستريح!

انسحب عمي ومن وراءه جدي..

وحينها شعرت بالغضب يتحول لألم، ألم شديد..

كانت تلك هي أول مرة أشعر فيها بآلام الكبد!....ولن تكون الأخيرة!

***

ها أنا أفتح جفوني و أبي بجانبي يمسك ذراعي في حنو بالغ

- بني هل أنت بخير؟

- جمال عزيزي جمال..هل أنت بخير؟

فتحت عيني على صوت أبي..

وبالتدريج بدأت أميز أننا في الوقت الحاضر..

همسات الماضي انتهت، أنا الآن في المشفى للمرة الثانية، ولكن المختلف في تلك المرة أن أبي يجلس أمامي دامع العينين!

- أبي..

- أنا هنا يا بني..أبوك هنا..

- لا تجهد نفسك بالكلام!
- سليم وسالم هما من أخبراك..!
- لا يا بني.. لم يخبرني أحد بأي شيء!
- أنا من شعرت أنك لست على ما يرام..وصدق حدسي للأسف الشديد!
- كنت أعلم أنك ستمرض هنا!
- لقد اقتربت منه يا أبي..
- اقتربت من معرفة قاتل بسمة!
- أتوسل إليك أن تتوقف عما تفعله!
- ستهلك نفسك، ارفق بأبويك وزوجتك وابنتك!
- توقف عما تفعله بنفسك!
- لقد ماتت بسمة منذ سنوات ولن يعيدها للحياة ما تفعله الآن!
- ولكن يا أبي!
- جمال..

(سمعت صوت سالم فجأة وهو يفتح الباب...)

- مصيبة يا جمال مصيبة...!
- جميلة! لقد اختطفت جميلة ابنة سليم يا جمال!

خرجت من المشفى وذهبت لبيت سليم..

وجدته هناك في حالٍ يرثى لها وكذلك عمي..

وصلت أنا وأبي، وسالم..

- الفتاة الرابعة هي جميلة!
- الضحية الرابعة هي ابنتي يا جمال!

جلست على ركبتي وأمسكت بيديه حاولت طمأنته ومنعه من

البكاء ومنع نفسي معه..بينما جلس أبي بجانب أخيه واضعا يده على رأسه في يأس مثله!

- لقد تكلمت مع مديرية الأمن في طريقي..

- شرطة المحافظة كلها تبحث عنها وإن لزم الأمر سأفتش عنها بيوت المنيا بيتا بيتا حتى أجدها!

- لقد كانت في طريقها إليك..

- اختطفت في الطريق..

- الخاطف اتصل بالمديرية وأخبرهم أنهم لن يجدوها حتى يعترف قاتل بسمة على نفسه!

- كان يجب أن أصدقك من ينتقم منا ينتقم لبسمة!

- سنبحث عنه!

-سنتتبع الرقم..

- رقم من شريحة لا تحمل اسمًا يا جمال..كيف سيعلمون صاحبها؟!

هكذا اغتال رد سالم في قلبي الأمل الباقي لتتبع القاتل!

- انتقم القاتل أولا من سكان الحي الصامت، والآن ينتقم من ابنتي؟

- ولكن لماذا؟

- لماذا يا جمال؟ جميلة ليست مسئولة!

- ما ذنبها يا جمال؟!

- ذنبها أن جدها هو قاتل بسمة!

(هكذا نطق عمي بعد أن رفع رأسه والدموع تترقرق في عينيه!)

نظرنا إليه في ذهول!!!

ورغم يقيني أنه فعلها لسنوات طوال إلا أن اعترافه هزني هزا شديدا!

- نعم أنا القاتل!
- اقبضوا علي وأذيعوا الخبر حتى يترك جميلة.. ليس لحفيدتي ذنب!
وليس لي كل الذنب أيضا..
- لقد أمرت بإخفائها فقط!
- لم أمر بقتلها...صدقوني!
رويدا رويدا بدأت تتضح الأمور....
في يوم اختطاف بسمة زارتها السيدة (كوثر القاضي)..أرملة ثرية كانت بينها وبين عمي علاقة غرامية..
طلب منها عمي أن تدعو بسمة لزيارتها في بيتها ومن ثم تحتجزها داخل البيت وتهددها بالابتعاد عن ابن أخيه لأنه لن يتزوج حشرة مثلها على كل حال! وإن امتثلت للأمر سيعطونها مبلغا كبيرا من المال لتبدأ هي وأخيها حياة جديدة في بلد بعيد عن المنيا.. وإن رفضت فستقتل!
لم توافق بسمة وحاولت الفرار من البيت فما كان من كوثر إلا أن ضربتها على رأسها..
فقدت بسمة الوعي واستيقظت بعد ذلك محاولةً الهرب في اليوم الثاني..
في تلك المرة تبعتها خادمات السيدة..فتاتان تدينان بالولاء لكوثر ويطيعانها طاعة العبيد فلا يعصيان لها أمرا..لا أهل لهما!
نشئا في رعاية أسرة كوثر وظلا على ولائهما لها طيلة الحياة!
أمسكوا بها..
هددتها كوثر للمرة الأخيرة..

إما المال والاختفاء وإما الموت ولا ثالث!!!
واختارتني بسمة..اختارت الموت!
حينها، فقدت كوثر أعصابها وضربت بسمة بسكين في رقبتها!
حملتها الخادمتان وألقيا بها في وسط الشارع في ليلة مطيرة في مثل هذا التوقيت منذ ثلاثين عاما!
رآهم الحي كله!! رأوهم وهم يرمون فتاة مضرجة بالدم، بين الحياة والموت، ولكن سطوة كوثر على سكان الحي كانت قوية..
فصمت الجميع جبنً وتخاذلا.. ودخل كلٌ داره ولم ينطق أحد!
تركوها للموت والبرد والوحدة!
لم يتكلم أحد ولم يشهد أحد!
وقيدت الجريمة ضد مجهول حتى جاء هذا القاتل وانتقم منهم!
- لم أكن أريد دماء..
- كل ما أردته أن تبتعد عنك فقط. كي تتزوج بنت فاضل، كي تتزوج زوجتك الحالية!
- لقد قطعت علاقتي بكوثر بعد قتلها لبسمة، كل ما أردته كان رحيلها..فقط رحيلها!
- لم أقصد الموت والدم..
-لم أتفق أنا وأبي معها على ذلك..
- أقسم أنني كنت سأتزوج كوثر وتركتها بعد مقتل بسمة!
- أنا القاتل الخفي..أنا المسئول عن موت الفتاة ولكن ليس لحفيدتي ذنب!
- تصرف يا جمال، أرجوك تصرف!
لم أنطق.. خرجت أهرول للحي القديم..

اليوم هو ذكرى مقتل بسمة..
الظلام يسيطر على المدينة..إن لم ألحق جميلة ستقتل خلال وقت قصير !
جريت أنا وأبوها وسالم بأقصى ما استطعت..
جريت كما جريت وقتما سمعت أن هناك جثة لفتاة في الحي الذي سمي فيما بعد بالحي الصامت!
لا ليس لجميلة ذنب..
لن أراها أمامي مرة أخرى لن أرى فتاة ذبيحة مرة أخرى..
جميلة لن تكون بسمة!
كنت أهرول حتى كاد قلبي أن يتوقف!
بدأت أمطار ديسمبر بالهطول مثلما حدث ليلة مقتل بسمة..
يا إلهي أرجوك إنها فتاة صغيرة!
أرجوك لا ذنب لها!
وصلت ووجدت أمامي جمعا من الناس وعربات شرطة تحيط بالشارع كله..
نفس الجمع الذي وجدته منذ ثلاثين عام!
نفس عربات الشرطة
نفس صرخات النساء..
وهناك وجدت ما كنت أخشاه..
ابنة أخي ملقاة في وسط الشارع والبرد والأمطار..
مذبوحة والدماء تغرق ثيابها كلها!
سقطت على الأرض ممسكا بقلبي كما سقطت قبل ثلاثين عاما..
نفس المشهد!!!
نفس الألم..

ولكنه هذه المرة أقسى وأشد!
ألم فراق الأبناء لا يضاهيه ألم أخر!
بكيت -وأنا عزيز الدمع- بكيت حتى كادت عيناي أن تبيضا!!
ومن ورائي..
وجدت سليم يسقط أرضا محاولا احتضان ابنته..
ما لبث أن صرخ بعدها صرخة مدوية لم يسبق لي أن سمعت أبشع منها في عمري كله!

***

في المشرحة وقف سليم ينظر إلى جثة ابنته دون أي حراك منه..
عيناه محمرتان متورمتان بطريقة صعبة..
الدموع متحجرة في مقلتيه..
دماء ابنته تغرق ملابسه..
وهو واجم مذهول من فرط الصدمة ولا يكاد يتحرك..

ظل ينظر إليها قرابة الساعة دون حراك..
لم يترك مكانه إلا عندما سحبناه أنا وسالم للخارج!
سحبناه للخارج وأجلسناه كمن يضع شيئا على كرسي!
هو معنا ظاهريا لكن عمليا كان يبدو أنه في عالم آخر...
- فعلت كل هذا من أجل المال يا عمي وانظر نتيجة فعلتك...
- بسمة قتلت..وأنا تزوجت من إحدى فتيات فاضل كما تريد..
وكذلك فعل سليم..
ولحظك الأسود توفيت زوجة سليم ووالدها على قيد الحياة..
وورث ابنك وحفيدتك ثلث التركة فقط..

وأخذت زوجتي باقي تركة أبيها! وها قد مات أبوك الذي لم يرد أن يختتم حياته بعمل واحد جيد، فكتب لك قصر العائلة بيعا وشراء بعد أن طردنا من بيته عقب مقتل خطيبتي بذريعة أنني شهدت على جدي وعمي زورًا!!

- نُفيت أنا وعائلتي لأنني نطقت صدقًا!

- والآن حفيدتك ماتت..حفيدتك أيها الرجل..ابنة ابنك..ذبحت كما ذبحت بسمة!

- فهل أنت سعيد الآن؟!

- القاتل يعلم أن وقت محاكمتك ومحاكمة كوثر قد انتهت..لقد مضى ثلاثون عاما سقطت فيها التهمة وسقطت الجريمة..

- القاتل كان يعلم أن الوزارة ستستعين بي وبسالم لحل الأمر...

- كنت ترى أمامك ثلاث جرائم ذبح لثلاث سيدات وتعلم سببها وتركتنا ولم تتكلم..

- أنت لم تقتل بسمة وحدها..

- أنت تسببت بمقتل خمس سيدات..

- أيها الوغد!

كنت قد فقدت أعصابي تماما وأوشكت على ضرب عمي لولا تدخل أبي واحتضانه لي وهو يبكي بحرقة!

أيها الحقير كل هذا يحدث بسببك بسببك أنت..

كنت غاضبا لدرجة أنني أوشكت على قتل الرجل لا ضربه فقط!

ووحده أبي من يسعى لإيقافي عن ذلك!

- كنت أعلم..طوال تلك السنوات كنت أعلم..ولكن ليس بيدي دليل..

- كنت أراك مع هذه المرأة في وضعيات مخلة..

- المرأة التي وجدت بسمة قتيلة على مقربة من بيتها..
- بسمة بالأمس..وباليوم ابنتي..
- أنا المتسبب الوحيد..
- أنا من بقي معك كان يجب أن أتركك مثلما تركك البقية..
أنت لم تستحق أحدا في هذه الدنيا سوى أبيك..!
- جميلة قتلت يا أبي! قتلت بسبب صمتك وصمتي..
- جميلة قتلت!
كان سليم هو الوحيد الذي لا يبكي!
كان أبوه يبكي ويصرخ ويضرب الأرض بيديه وقدميه بينما أنا وأبي وسالم نبكي صامتين..
وسليم ثابت هادىء يلقي بكلماته كالخنجر ولا يبالي!
ظهر تقرير الطب الشرعي مطابقا لتقارير القتلى السابقة..
علمنا دافع الجرائم الأربع..
ولم نعلم من منفذها!!!
في الجنازة حضرت أمي وزوجتي وابنتي..
كانت حالة زوجتي وابنتي سيئة للغاية..
خاصة ابنتي سلاف..
كانت مقربة من ابنة خالتها جدا..
لم تستطع أن تتصور أن هناك من يقدم على قتل قريبتها وصديقتها بتلك الطريقة البشعة!
لكنه القدر!
حاولت تهدئة ابنتي قدر المستطاع..
وبعدما يئست تركتها برفقة أبوي وزوجتي ورحلت..ذهبت لمقر

العمل..كنت أجهز اعتذارًا عن التحقيقات..
لقد خذلت كل فتاة اعتمدت علي حتى الآن..
بسمة..جميلة..
قلبي يعتصره الألم..
أشعر بالعجز..
يا الله..
وبينما أنا منشغل في كتابة الاعتذار..
وجدت أمامي الضابط يوسف..
- سيدي أحر تعازي لسيادتك ولسيادة العميد سليم..
هززت رأسي ولم أنبث ببنت شفه..!
- سيدي لعلك الآن بصحة أفضل فقد علمت أنك هرعت من المشفى وقتما علمت بالخبر..
- أستميحك عذرا يا سيدي ولكن هل لي أن اسأل من أعلمك بالخبر؟
- نحن لم نرسل أحدا إليك ليُعلمك!!
- الطبيب سالم هو من أخبرني..
- وكيف علم يا سيدي؟
- إنه لم يأت للمديرية منذ يومين!
- إنه لا يأتي للعمل بدونك أصلا...
لحظتها سقط القلم من يدي..
تراجعت للوراء ورفعت رأسي صوب الضابط..
- سيدي لقد وردنا في يوم مقتل الآنسة جميلة اتصالا هاتفيا يفيد باختطاف الآنسة جميلة وأنه لن يفرج عنها حتى يعترف القاتل

الحقيقي بجريمته.. وقد تم الأمر من رقم مجهول الاسم والهوية..
وقد تم تغيير نبرة الصوت بواسطة إحدى برامج الهاتف الذكي!
وعلى ما يبدو أن القاتل قد تخلص من شريحة الهاتف فيما بعد!
بعد ذلك أخطرت مديرية الأمن السيد/ سليم بالأمر...وتوجهنا جميعا لبيته..
- فكيف علم السيد سالم بما حدث ليخبرك به؟!
أخذت هاتفي واتصلت بسليم..
لم يجب..
اتصلت بأبي.
- أبي..أين سليم؟!
- لقد ذهب لبيتنا مع سالم حتى تهدأ أعصابه قليلا!
- يوسف استدع قوة شرطة لبيتي حالا..
نفذ الضابط الأمر..وهرع لينفذ تعليماتي..
انطلقت بسيارتي بأقصى سرعة وهاتفي لا يتوقف عن الاتصال بهاتف سليم..
يا الله أرجوك قف بجانب سليم، يا الله لا تريني فيه السوء..
كيف لم أعِ؟؟
كيف كنت أحمق لتلك الدرجة؟!..
الآن أتذكر كل شيء أرى الأمور أمامي كشريط متتابع!
عندما أخبرني بموعد عشائي في بيت عمي..
ولم أكن قد أخبرته شيئا بعد..
وعندما كان يتعامل بهدوء وسلاسة في مواقف لا يمكن أن يكون هادئا فيها هكذا!
وعندما جاء يهرع إلي ليخبرني بأمر خطف جميلة..

وعندما أخبرني أن القاتل تحدث من رقم مجهول الهوية دون أن يخبره أحد من أفراد الشرطة بالتفاصيل!

غيابه المتكرر الذي لم أكن أعلم سببه!

سعيه إلي وأنا في المشفى وإخباره لي..

اعتراف عمي الذي لم يحرك فيه ساكنا..

تعامله الجاف مع جميلة..

كل شيء كل شيء كان يحذرني منه وأنا من رفضت التصديق..

يا الله لا تفجعني في سليم..

ليس له ذنب..!

ليس له ذنب!

وصلت لبيتي وبمجرد أن دخلت للبيت وجدت سليم أمامي..

- سليم حمدا لله أنك بخير، هيا يجب أن نذه....

أوقفني صوت الرصاص عن النطق...

سليم أمامي ينظر لي بجمود من تلقى صدمة..

وأنا أمامه دامع العينين مشلولا عن الحركة..

إلى أن رأيته يسقط أمامي ومن وراءه سالم مصوبا مسدسه نحوه..

- سليم...

صرخت باسمه بأعلى صوتي وهرعت لاحتضانه..

- سليم..سليم انظر إلي..

- ستكون بخير..فقط ابقَ معي أرجوك..!

- كنت أنت..كنت طوال الوقت أنت؟!

- لم أرك..لم أرد رؤيتك!

- أنت القاتل؟

قاتل صديقك وابنته وثلاث سيدات؟!

- قاتل! أنا القاتل أيها الأحمق؟

- وماذا عن عمك الذي أمر بقتل أختي كما لو كانت حشرة؟!

- ماذا عن جدك الكلب الذي كان يعلم ووافق ابنه؟

- بل ماذا عن سليم الذي كان يعلم أن أباه وراء الأمر كله؟!

- بل ماذا عنك أنت؟!!

لقد تزوجت تلك الفتاة الثرية فور تخرجك..

نسيت بسمة وتخرجت وتزوجت وأصبحت محققا شهيرا!

ماذا عن أختي التي ذبحت بدم بارد ورميت جثتها كالكلاب ورآها سكان حي بكامله ولم ينطق ساكنوه!

- أعوام وحياتي متوقفة عند مشهد ذبحها..

- هل تعلم أنني أصبت بنوبات تشنج بعد الحادث؟

- كل هذا الألم والموت..من أجل ماذا؟

- ألأنها تجرأت وأحبت سليل عائلة الذهبي؟

لقد لجأت إليك، جاءتك تهرع وتقول أنقذني وماذا فعلت يا رجل؟

- ركبت القطار مع ابن عمك وعدت لتشهد اختفاءها..

- ماذا كنت تظن..ماذا؟!

- هل ظننت أن عمك وجدك سيتركانها في حالها؟ سيتركان اليتيمة أخت العامل في مصنعهم تتزوج ولدهم؟

- وها هو ابن عمك وأخوك..ماذا فعل هاا..؟ أخبرني ماذا فعل؟

- لقد صمت عن جرم أبيه وجده، ومضى وتخرج وأصبح عميد وتزوج شقيقة زوجتك! وعشتم في تبات ونبات وأنجبتما البنات وورثتما واتسع ملككما، وأنا..

- أنا الحقير ابن الحقراء، أمضيت العمر وحدي بلا زوج ولا ولد..
- أحيا وحدي وأمرض وحدي وتمر علي الذكريات والأماني والأحلام وحدي..بينما قتلة شقيقتي يعيشون في النعيم!
- لقد فكرت في أن أقتل عمك ولكن بما يفيدني..
- انا لا أريد موته..
- أنا أريده أن يشهد ما جنته يداه.
- أريده أن يرى أولاده يموتون تباعا..
- أنا من خطف جميلة وتعلم أين ذبحتها؟
- في بيت كوثر!
- وأين سأعثر على مكانٍ أفضل منه!
- انتهت التحقيقات وأغلق البيت..لسنوات وأنا أحفظ تقرير الطب الشرعي لمقتل أختى..
- تخصصت لأكون طبيبا بمصلحة الطب الشرعي..
- لازمتك وأنا أمقتك..
- يوما بعد يوم أزداد حسرة وأنا أرى ابنتك وابنة سليم تكبران..
- الآن فقط شرعت في أخذ حقي!
- ذبحت الفتاة كما ذبحت قتلة أختي..
- رميت بها على الطريق..وجئتك..
- أتعلم كيف توصلت إلى قتلة أختي؟
- من إحدى السكارى في بار حقير كنت أتردد عليه! كنت أشرب حتى أنسى ألمى بينما أنت وابن عمك في كلية الشرطة!
-... إلى أن سمعته..سمعت أحد الفقراء من جيراني يروي ما حدث..

- لقد رُميتْ أمامنا ولم ينطق أحد!أخرسنا الفقر والجوع وخشية البطش..!
- جلست بجانبه وأنا أرتجف,,وسمعت كل شيء!
- كنت أبكي أنا والرجل..
- نبكي قهرنا..
- رحلت يومها وفي نيتي شيء واحد..الانتقام من عمك وابنه!
- ربما إلى يومنا هذا لا يدري الرجل حتى ماذا قال..
- لقد كان مخمورا..
- لم يعلم أن كلماته كانت بداية طريق الانتقام بالنسبة لي!
- وبالمناسبة أيها الأحمق..
- كبدك ليس مهترءًا بسبب السجائر والقهوة! بل بسبب الأدوية التي داومت على إعطائك إياها طوال الأسبوعين الماضيين..
- عقابك أنك ستشهد موت أحبابك يا جمال..
- دفنت جميلة وستدفن ابن عمك..وقريبا ابنتك!

ما إن أنهى سالم كلماته حتى وجدته يصوب مرة أخرى باتجاه سليم..

وفي جزء من الثانية سحبت سلاحي..وأرديته قتيلا بثلاث طلقات في القلب!

في قلبي قبل قلبه!

كان سليم يحتضر بين يدي..

كان ينظر إلي ويردد:

- أنا آسف!
- اصمت يا سليم أرجوك.

- أنا الذي يجب عليه أن يعتذر أنا من تركتك..
- لم يكن لك ذنب..
- ستكون بخير، الضابط يوسف آتٍ في الطريق مع المساعدة..
- أرجوك تحمل..
- لا تتركني يا سليم!
ابتسم لي ابتسامة طويلة!
ثم أغمض عينيه إلى الأبد...!
ظللت أبكيه واحتضنه حتى أتى الضابط والقوة المصاحبة له!
لم يتحمل عمي عندما علم بموت ابنه..
وقبله بعدة ساعات حفيدته الوحيدة..
توفي بنوبة قلبية أثناء التحقيقات!
لقد فقدت ثلاث أفراد من عائلتي في يومين!
- صار كل شيء لك ولأخيك الآن!
- يرحل الناس ويتركون وراءهم ما عاشوا العمر كله من أجل جمعه..
يرحلون من دونه..ويحاسبون عليه كله!
(قالها أبي وهو ينظر لي بحسرة..!)
أغلقنا البيت من وراءنا..
أخذت ما تبقى من عائلتي ورجعت للقاهرة..
أخبرني فيما بعد طبيبي المعالج أنني تعرضت لتليف بالكبد..
سأحيا مع الآلام لما تبقى من عمري!
هذا هو ما أراده سالم!
أن أتألم..
وكأني طوال عمري الماضي كنت سعيدا!

والأسوأ أنني اكتشفت بعد ذلك أن مسدس سالم كان خاليا من أي طلقات أخرى..

لقد وضع طلقة واحدة وضرب بها سليم في سويداء القلب..!

وانتظر حتى يخبرني بكل شيء وبعدها رفع فوهة مسدسه الفارغ في اتجاه سليم!

كان يعلم أنني سأختار سليم وأقتله هو!

قتلت بيدي صديقا..وهجرت الآخر حتى مات!

والآن أنا وحدي تماما!

يفترسني المرض والألم والغياب..!

لا أنا بحي..

ولا أنا بميت..

ولكني بينهما!

تمت

الجريمة الكاملة

هـذا الصبـاح هـو أول يـوم عمـل لـي منـذ فتـرة طويلـة قضيتهـا فـي البيـت دون وظيفـة!
لـذا، اسـتيقظتُ وأنـا فـي قمـة سـعادتي وحماسـي، اسـتعدادًا للعـودة للحيـاة العمليـة المعتـادة مـرة أخـرى!
الشـهور الماضيـة مـرت علـيَ وأنـا فـي حالـة يرثـي لهـا.. كان مـن الصعـب أن أتأقلـم مـع فكـرة وفـاة أقـرب صديقاتـي..أو بمعنـى أدق انتحارهـا!

أدعـى (نهـى سـيف الديـن) صحفيـة داخـل قسـم الحـوادث أعمـل فـي جريـدة يوميـة وكاتبة..عمـري ثلاثـون عامـا ومتزوجـة منـذ خمـس سـنوات!
حياتي سعيدة ويمكنني أن أصفها بالمثالية..
وعلـى الرغـم مـن أنـي لـم أرزق بأطفـال حتـى الآن، إلا أن الأمـر لا يؤثـر مطلقـا علـى زوجي..الحقيقـة أنـه راضٍ –أو هكـذا يبـدو لـي- ودائمـا مـا يـردد علـى مسـامعي أن أهـم مـا يطمـح لتحقيقـه فـي علاقتنـا الزوجيـة هـي السـكينة والرضـا.
يعمـل زوجـي شـريف محاميـا فـي مكتـب محامـاة شـهير، وطـوال الوقـت يحدثنـي عـن الجرائـم التـي يقابلهـا فـي عملـه، وبحكـم أن القاسـم المشـترك بيـن عملينـا واحـد، فـكان مـن الطبيعـي أن يكـون أغلـب حوارنـا عـن الحـوادث.
- (صدقيني يا عزيزتي هم مستحقون للعقوبة..أتعلمين لماذا؟)
- (لأنهم مذنبون بالطبع يا حبيبي..)
- (لا..بـل لأنهـم أغبيـاء! لا أحـد منهـم يخطـط قبـل ارتـكاب الجريمـة

في المخرج منها, عادة ما تسيطر عليهم رغباتهم المحمومة في ارتكاب الجريمة..في لحظة يغيب فيها العقل ويتعطل الإدراك.. ويتوقف بهم الزمن دون أي تفكير في العواقب!
ببساطة لا أحد منهم يخطط للجريمة الكاملة!)
لطالما شعرت بالفرح من كلمات شريف لي..لقد كان مثالا للزوج المثالي الذي يشرك زوجته في كل شيء..حتى في أدق تفاصيل عمله!
كان عالم الجريمة والغموض يجمع بيننا دائما..نظرا لعملي بقسم الحوادث وعمله كمحام..
أن يكون المرء صحفيا في قسم الحوادث فهذا يعني أن تعتاد الاطلاع على قضايا غريبة ومشوقة تستحق النشر!
لكن يظل عمل شريف من وجهة نظري مبهرا أكثر من عملي.
حتى جاء اليوم الذي أخبرني فيه شريف بالجريمة التي غيرت مجرى حياتي تماما..لم أعد قادرة بعدها على سماع أي شيء يتعلق بعالم الجريمة أو القضايا مرة أخرى!
في ذاك اليوم المشئوم اتصل بي شريف في الجريدة، وطلب مني أن أذهب مسرعة للبيت لأنه يريد إخباري بأمر جلل....!
- (عزيزي هل يمكننا تأجيل الأمر ساعة واحدة..أنا على موعد هام و..
- (نهى، أرجوك توجهي للبيت حالا..!)
صوته كان يكسوهُ الحزن والانكسار.. كان ينطق الكلمات ببطء شديد.. وكأنه لا يقدر على ربط الجمل ببعضها!
- (نهى.. أنا أسف يا عزيزتي..صديقتك سلمى وجدوها مصابة

بعيـار نـاري فـي منزلهـا منـذ سـاعة..!
لقد انتحرت!)
وكانت هذه هي آخر جملة يمكنني سماعها في تلك الليلة..!
لـم أسـتطع أن أتحـرك مـن موقعي..جـاء إلـى زمـلاء العمـل وحاولـوا تعزيتي..فقـد كان الخبـر قـد سـرى كالعـدوى فـي المدينـة كلهـا..
كانـت سـلمى رحمهـا الله رسـامة شـهيرة..ويعرف القاصـي والدانـي كم كنـا مقربتيـن مـن بعضنـا البعـض.. وعلـى أثـر تلـك المعرفـة تعاطفت معـي الجريـدة كلهـا.
بعـد وقـت قصيـر مـن انتهـاء مكالمـة شـريف لي..وجدتـه أمامي..جـاء ليصطحبنـي مـن الجريـدة..
كانـت معالـم الحـزن باديـة علـى وجهه..وعينـاه المتورمتـان مـن البكاء تظهـر مـدى تأثـره بالحدث!
لقد كان يعلم قيمة سلمى الكبيرة عندي..
سلمى لم تكن مجرد صديقة.. سلمى هي أختي في الرضاعة.
قضينـا عمرينـا معا..لـم يكـن مـن السـهل علـي أن أتخيـل أنهـا سـتختفي هكـذا مـن حياتـي فجـأة!
قبيل انتحارها بساعة هاتفتني..
أخبرتنـي أنهـا تريـد رؤيتـي فـي أمـر عاجل..وحذرتنـي مـن أن أخبـر أحـدًا أننـا سـنتقابل.
كانت لهجتها غريبة..والأغرب هو تحذيرها لي!
لم أكن أستطيع أن أفهم ما بها!
- (حاضـر يـا عزيزتي..أعـدك أننـا سـنتقابل..لن أخبـر سـوى شـريف بأمـر تأخـري و...)

- (أخبرتك ألا تفتحي فمك بشي..خاصة أمام هذا الوغد!)
كانت هذه هي المرة الأولى التي تنال فيها من زوجي شريف..!
صحيح هي لم تحبه..ولطالما رأته فتى انتهازيًا ارتبط بفتاة غنية وجميلة..لكنها لم تتجاوز الحدود في الحديث عنه مطلقا..
(كيف تجاسرت على نعت زوجي بالوغد أنا لا أفهم!)
فهي -وبالرغم من اختلافها معه- قد كانت لطيفة مع كلينا دائما..
(يا الله، ترى ما الذي تغير يا سلمى!)
ومع عدم رضائي عن طريقتها المتدنية في الحوار إلا أنني عبرتُ فوق الموقف..كان يبدو للأعمى أنها ليست في حالتها الطبيعية.
الساعة الماضية جلستُ صامتة..كنت أشعر بأن عقلي فارغ ولا قدرة لي على العمل..
كل ما كان يجول بخاطري شيء واحد..
ما الذي تريده مني سلمى وما علاقة شريف بالأمر؟
هل يمكن أن تكون قد علمت بأمر العمارة التي وهبتها لشريف؟
يا إلهي.. ستعطيني الآن درسا في الأخلاق وستنعتني بالجنون وكيف لي أن أصنع مصيبة بهذا القدر؟!
(هي لا تعلم معدن شريف.. لا أحد يعلم نقاء روحه مثلي..)
هكذا حدثت نفسي..
شريف ليس مجرد زوج وحبيب بالنسبة لي، شريف في نظري مثال للرجل الصالح نقي السريرة صاحب اليد النظيفة التي لا يمكن أن تلوث أبدا!
إن لي زوجا عصاميا، بنى نفسه بنفسه..
ولد زوجي لأسرة فقيرة رقيقة الحال..بل مدقعة الفقر تعيش على الكفاف..

لم تكن حياته باليسيرة، وعلى الرغم من العوائق التي صادفته، إلا أنه استطاع أن يصير الأول على دفعته بالإضافة إلى أنه قد أثبت ذاته كمحامٍ كفء لا يشق له غبار.

لماذا تعاملني ليلى بتلك الطريقة؟! بل لماذا تتهم زوجي دائما بما ليس فيه؟!

تحذرني طوال الوقت من أنه سيدمرني ثم يسلبني ممتلكاتي..

لو كان ذلك صحيحا لما لم يطلب مني أن أؤسس له مكتب محاماة..وهو حلم حياته..لم يفعلها ولم يلمح بها حتى!

أنا التي منحته إياه عن طيب خاطر ومحبة!

يا إلهي..لقد كرهت حياتي بسبب ليلى.. كيف يمكن للأخوة والأصدقاء أن يحولوا حياتنا للجحيم نفسه؟!

يا الله..إلى الآن أتذكر ما فعلته وقت علمت أنني من سيتحمل تكاليف زيجتي!

- (عزيزتي نهى..أنا لا اعترض على زواجكما وأتفهم كون عريسك مازال في مبتدأ حياته، ولا بأس من أن تسند المرأة زوجها في بداياته! لكن ليس من المعقول أن تنفق المرأة –وحدها- على زيجةٍ بأكملها!

أين كرامته يا أختي؟...كيف يقبل أن تتحملي منفردة عبء نفقات الزواج كاملة عنه!

أين قوامته يا نهى..أين دوره أخبريني؟!)

كانت تلك أول مرة أتضايق فيها بشدة من ليلى!

ليس من واجب الأصدقاء أن يقرروا لنا كيف ومع من نحيا، ولا أن يقتحموا حيواتنا على هذا النحو السافر من الاقتحام..

كيف سمحت لنفسها بإفساد فرحتي هكذا؟!! كيف تفعل؟ حتى وإن كانت أختي في الرضاعة وصديقة العمر!
إنها تعلم كم أحب شريف وكيف أشعر تجاهه..
لقد مر عليَّ العمر كالدهر..
اختبرتُ مرارة اليتم منذ الصغر.. توفي والداي في حادث أليم وتركاني وحيدة..
كُسِر ظهري مبكرا بوفاتهما، وحُرِمتُ من أدنى الحقوق التي يتمتع بها إنسان..الأسرة والبيت الدافئ!
صحيح أن والديَّ قد تركا لي أموالا طائلة..ولكن ما احتياجي للمال دون الأهل والعزوة!
لكنها إرادة الله التي تقبلتها وحمدته عليها..فالله أرحم وأرفق بنا من آباءنا..
وقد هوَّن على نفسي ألم الفقد ومرارته، وجود والدة بديلة.. والدة سلمى..
احتضنتني كابنة ثانية لها..
تبدأ معرفتي بأسرة سلمى من كونها كانت صديقة مقربة لوالدتي، وعندما مرضت أمي بعد ولادتي تولت هي عملية إرضاعي والعناية بي واستمرت رعايتها لي إلى أن فارقت أمي الحياة بعد الحادث الذي تعرضت له!
أشعر في بعض الأحيان أن تعلقي ب سلمى هو صورة من تعلقي بها..
لقد نشأت وأنا أراها ترعى كلانا كالأختين الشقيقتين!
وربما كان هذا دافعي لتوطيد صداقتنا وأخوتنا!
والدة سلمى.. ووالدتي بالرضاعة في آن!

وقت زواجي من شريف لم تتدخل مطلقًا، ورأت أنه من واجب سلمى أن تساندني حتى وإن كانت ترى أن شريف لا يصلح لي، وأن دورها إزائي لابد أن يقتصر على مجرد النصح فهي أولًا وأخيرا صديقة لا وصية على قرارتي.

إلى الآن لا يمكنني أن أنسى رؤيتي الأولى لشريف..

شاب مهذب أنيق، يقف بجانب محامٍ كبير في قاعة المحكمة..

علمت فيما بعد أنه يعمل لديه في مكتبه، وكان لذاك المحامي الفضل في معرفتي بزوجي المستقبلي.

- (يمكنك التحدث مع السيد (شريف) عما تريدينه فهو على دراية بكافة تفاصيل القضية وسيفيدك أكثر مني.)

كان مكتب المحاماة الذي يعمل به شريف وقتها يضطلع بأمر قضية قتل كبيرة سرعان ما تحولت لقضية رأي عام..وكان من واجبي كصحافية في قسم الحوادث أن أحاول الظفر بأي معلومة ترفع من قيمتي وقيمة الجريدة.. وقد نلت هذا السبق بالفعل عن طريق شريف...

تقابلنا وتحدثنا كثيرا وحققت مرادي في عملي..وانتهت القضية ولكن علاقتي بشريف كانت قد بدأت لتوها..

تبادلنا الأحاديث والمناقشات وفى إحدى المرات اعترف لي بحبه ووجدته يركع أمامي في حركة استعراضية لا تخلو من رومانسية وفي يده خاتم ذهبي بسيط:

- (نهى..هل تقبلين الزواج مني؟)

وفجأة صفق كل من حولي في المكان..

كان الأمر أشبه بحلم..حلم جميل لم أرد أن أفيق منه أبدا..

(آه..كيف يمكن للحب أن يهدم إنسانًا ويبنيه في ذات الوقت؟!)

تزوجنا وقضينا خمس سنوات من الحلم.. لم ينغصه علينا سوى عدم الإنجاب!

لكنني عوضته..أو هكذا ظننت!!

في السنة الأولى من زواجنا منحته سيارة فارهة! وفي السنة الثانية منحته شقة فخمة كانت فيما ورثته عن عائلتي، منحته إياها ليقيم فيها أهله، إذ كان بيتهم القديم متهالكا وعلى وشك الهدم، فرأيت أنه من قبيل الإحسان إلى زوجي أن أكرم أسرته، خاصة وأن ابنهم يحيا في بيت زوجته الكبير..

لقد تزوجنا في فيلا عائلتي الراقية، عائلتي التي حُرمتُ منها مبكرا جدا!!

أعود لسلمى التي كانت نيران الغيرة تأكلها كلما أحست بسعادتي و هنائي!

- (إنه رجل استغلالي..يكرهك.. يمتص مالك!)

حتى تطاولت عليَّ في مرة وقالتها في وجهي صريحة:

- (أنتِ امرأة عاقر.. لماذا تتصورين أنه سيمضي عمره معك إن لم يكن من أجل مالك!)

لو أن أحدهم شق صدري وانتزع قلبي وكسره أمام ناظريَّ، لكان ألمي أقل مما احتملته لحظتها!

لقد مادت بي الأرض من تحت قدمي، وسقطت مغشيا عليَّ من هول ما سمعت منها للدرجة التي خشيَت هي فيها ووالدتها أن أموت أمامهما.

لـم أتكلـم.. لـم أنبـث ببنـت شَفَه..سـقطت وحـدي ونهضـت وحـدي ورحلـت لا رفيـق لـي سـوى ألمـي...!

- (كيـف يمكـن للأخـت أن تتحـول لعـدو هكـذا مـاذا فعلـتِ بـي يـا سـلمى؟ بـل مـاذا فعلـت أنـا بـكِ لتكونـي هكـذا؟!)

لم نتكلم ولم تطمئن علي..

اتصلـت والدتهـا واعتـذرت بينمـا تدثـرتُ بصمتـي ولـم نتكلـم ثانيـة سـوى بعدهـا بشـهر عندمـا علمـتُ بوفـاة والدتهـا.. والدتـي!

تلـك المـرأة الوفية..التـي أصيبـت فجـأة بأزمـة قلبيـة دون سـبب.. بينمـا لـم تكمـل الخمسـين مـن عمرهـا.

فـي الجنـازة بكيتهـا وبكيـت أهلـي فيها..وبجانبـي شـريف يحـاول مواسـاتي ومواسـاة سـلمى...

كـم هـو رجـل بحق!..أكبـرتُ فيـه وقفتـه بجـواري وجـوار أختـي رغـم علمـه بمـا تضمـره نحـوه مـن مشـاعر عدائيـة.

بعـد الجنـازة تكلمـت معهـا وأخبرتهـا أننـي أسـامحها وأننـي سـأظل بجانبهـا إلـى الأبـد...

لكنها كانت تعاني انهيارًا هائلًا جراء فقد أمها..

ومـع كل مـا فعلتُـه لأجلهـا..إلا أنهـا لـم تعـد لسـابق عهـد أخوتنـا وصداقتنـا أبدا..بـل علـى العكـس ازدادت حـدة نحـوي ونحـو شـريف..

- (كيـف يمكـن لهـا أن تتغيـر وهـي لا تـدرك؟! سـلمى الرسـامة المرفهـة التـي تحيـا علـى ميـراث عائلتها..كيـف لهـا أن تتفهـم كفـاح شـخص مثابـر مثـل شـريف؟)

هكذا كنت أحادث نفسي..

- (يـا الله..مـن المؤكـد أنهـا قـد سـمعت الآن عمـا يحـدث مـن تجديـدات

فـي شـقتي.. ولا بـد أنهـا علمـت بأننـي أجهـز مكتـب محامـاة خاصـاً يليـق بزوجـي..

هـذا عيـب الحيـاة فـي المـدن الجديدة..تشـعر أن مـن حولـك يتناقلـون أخبـارك وأخبـار الآخريـن بـلا أي حـدود.. ولكـن لا!! لـن أكـون ضعيفـة أمامهـا كتلـك المـرة، لـن أسـمح لهـا بالتدخـل فـي شـئوني وإهانتـي ثانيـة.. وإن كانـت أختـي ورفيقـة عمـري فهـي ليسـت وصيـة علـى تصرفاتـي!)

كل تلـك الـرؤى كانـت تـدور فـي عقلـي حتـى جائنـي الخبـر المشـؤوم.. والباقي معروف!

طـوال الطريـق كان شـريف يبكي..بينمـا كنـت أنـا صامتـة مـن جـراء الصدمـة..

بالمشـفى ظللـت صامتـة بينمـا أجهـش شـريف بالبـكاء بحرقـة لحظـة تعرفـي علـى الجثـة..!!

لقـد طلبـت منـي الشـرطة ذلـك كإجـراء روتينـي نظـرا لأننـي أختهـا وصديقتهـا الوحيدة..لـم يكـن لهـا أحـد غيـري.

-(أ/ نهى..أعتـذر بشـدة عـن هـذا الإجـراء الروتيني..ولكـن ليـس للفقيدة مـن أقـارب سـواك..صبَّرك الله علـى هـذا المُصاب!)

لقـد أشـفق علـيَّ الضابـط وواسـاني بتلـك الكلمات..ثـم طلـب مـن شـريف أن يأخذنـي للبيـت..

فـي الجنـازة وموقـف العـزاء حـاول شـريف أن يبـدو متماسـكًا، لكـن الحـزن الرابـض فـي عينيـه وشـى بـه جليًّـا!!.

آه يـا زوجـي!! كـم أنـت نقـي السـريرة! تبكـي الفتـاة التـي لطالمـا كرهتـك..!!

ليتها تراك الآن لتدرك كم أخطأت في حقك، ولتطمئن روحها لأن أختها قد تزوجت رجلا أصيلًا تستند إلى مروءته في الشدائد!
ليتها تطالع حزنه الآن، إذن لتجرعت الندم على ما ارتكبته من إثم الظن السيء في حقه!
دخل شريف في حالة اكتئاب شديدة بعد موت ليلى..
حالة اكتئاب أشد وأعتى مما أصابتني أنا!
حتى أنه حصل على إجازة من العمل لكي يرعاني..فقد طلبت أنا الأخرى إجازة طويلة...
حبيبي.. زوجي الوفي لشهورٍ الآن يتفرغ لرعايتي، رغم أن الألم يحرق روحه!
- (أعلم أنك حزين يا حبيبي..حزين على سلمى أليس كذلك؟!)
كان شريف صامتًا يحدق في الفراغ، لم ينظر إلي حتى..واستمر في تناول قهوته بلا مبالاة!
- (أنا أيضا حزينة يا شريف.. حزينة لأبعد من حدود تصورك يا رفيق حياتي الوفيّ
أتدري؟ لقد كُسرَ قلبي مرتين!
أولهما، عندما خسرتُ أختي وصديقة عمري الخائنة!
والثانية عندما خسِرتُك أنت، زوجي وحبيبي!)
في تلك اللحظة انتبه شريف لي وامتقع لونه، ورأيت عليه أعتى علامات الرعب التي لم تحملها تقاسيم وجهه مسبقا!
- (كنت تظن أنني لا أعلم أليس كذلك؟!
هاهاهاااا... ظللت أضحك.. بينما هو ينظر لي نظرة ممتزجة بالرعب والغضب!

حسنا قبل أن أخبرك كيف علمت، هنالك شيء صغير يجب أن تعلم به أولا..
يجب أن تعلم أن سلمى أختي وصديقتي لم تنتحر.. بل قُتلتْ..!!
نعم، قُتلت بدمٍ بارد...
وأنا مَن قتلها يا عزيزي!)
وبينما أنا سادرةً في تسديد كلماتي صوبه، بدأ شريف يشعر بضيق شديد في التنفس، وبدأت يداه تهتزان بعنف أسقط معه فنجان القهوة الذي كان لا يزال يحمله –نسيانًا- بين يديه وأخذ يتلوى من فرط الألم، ولم تفت هنيهة حتى سقط على الأرض وهو يقبض على صدره من ناحية القلب بكلتا يديه ونظراته المذعورة تتجه صوبي كطلقة الرصاص!!
- (سلامتك يا روحي..!)
قُلتها بهدوءٍ قاتل.
- (لا تقلق!! أنا لم أقدم على دس السم لك في فنجان قهوتك يا حبيب العمر!
لست بذاك الحمق، فأنا ما زلت أتذكر كلماتك جيدا يا عزيزي عن الجريمة الكاملة،
أتذكر نَص كلماتك جيدا..
- (الأغبياء هم من تسيطر عليهم الرغبة في تنفيذ الجريمة فقط دون أن يخططوا مسبقًا لكيفية الهروب منها بعد تنفيذها!)
أما أنا يا حبيب القلب فقد فكرت كيف أنفذ جريمتي وكيف يمكنني الهرب منها أيضا!
كان شريف ينظر إليّ ولا قدرة له مطلقًا على إبداء أي تعبير سوى الألم!

غيرتُ مكان جلستي، وبدأت في ارتشاف عصير كان قد أعده شريف لي مع قهوته!

- (حسنا يا شريف، بما أنك قد تبقى لك ساعات وتقابل وجه رب كريم، فمن حقك أن تعلم القصة كاملة..

في ليلة مقتل سلمى..اتصلت بي بعد أن اشتبكتما سويا في بيتها لأنك لا تريد تركي الآن.. وأنه بالرغم من حبك الشديد لها فإنك لن تستطيع تركي الآن حتى تتملك مكتبك الجديد.. وبمجرد حدوث ذلك ستطلقني وتتزوجها فورا، فما الذي سيحملك على التمسك بزوجة لا تحبها فضلًا عن كونها لا تنجب!

حبيبي.. كلما تخيلت أنك ظللت زهاء الشهرين تبكيها ظنًا منك أنها انتحرت بسبب مشاداتكما الأخيرة، كنت أتألم لأجلك! ولكن دعنا نكن صرحاء يا عزيزي، أنت مَن تسببت بمقتل سلمى بصورة أخرى وأنت لا تدري!

ولكن صدقني هي تستحق الموت..أتعلم لماذا؟!

لأنها كانت قد أعدت لك كمينًا أيها المسكين..

اتصلت بي بعد المكالمة التي دارت بينكما، وطلبت مني الحضور إليها على عجل دون إخبار أحد بمكاني حتى أنت! وجعلتني أستمع إلى اعترافاتك المفصلة!

اعترافاتك بالخيانة... اعترافك بحبك العارم لها، وكرهك العميق لي، وحقدك الأعمى عليَّ!

فلم أكن لديك سوى مصدراً للمال وحافظة نقود تحق لك غاياتك دون تعب!

ولكن أتعلم رغم كل ما سمعته من اعترافات صاعقة لم أكرهك! حتى سمعتك تتكلم عن والدة سلمى..!

- (سلمى أنا آسف حقا لما حدث لوالدتك..
آسف لأن النوبة القلبية التي صرعتها كانت على إثر معرفتها المفاجئة بعلاقتنا..
لم أكن أعلم أنها تراقبنا..لو كنت أعلم ما كنت لآتي إليك حينها..
لقد كانت رحمها الله ترتاب فيّ كثيرا –رغم أنها لم تصرح بذلك- ولكن يبدو أنها راقبتنا مرارًا حتى تيقنت من وجود ما يربطنا ببعضنا البعض!
لم أتصور أنني يمكن أن أكون سببا في أن تفقدي والدتك بهذا الشكل المحزن ولا أن تشعري بذاك الندم..
ولكنني سأعوضك...
سنتزوج يا عزيزتي..وسأتخلص من نهى للأبد!
هي السبب في ما حدث..
خمس سنوات وهي تتحكم بي كالعبد المملوك..
تعطيني من مالها بسخاء وهي تظن أنها تسدي إليَّ أعظم الصنائع.. بينما أنا أمقتها أكثر كلما فعلت!
لقد تحولَّت -بعطاءاتها- إلى رجل البيت، بينما أنا خادمها المطيع!
تعطيني المال والدار وتجعلني أقاسمها الأملاك، وتنتشل عائلتي من الفقر وأنا مطالب بأن أبدي لها عميق الامتنان.
أنا أكرهها لكل هذا الذي ظنت أنها تتقرب إليّ به!
نعم، أكرهها مثلك وألعن اليوم الذي رأيتها فيه! لكن الحسنة الوحيدة من معرفتي بها كانت معرفتي بك يا حبيبتي!)
- (شريف، زوجي الوفي، أليست هذه كلماتك يا عزيزي؟!)
لقد قتلت أمي يا شريف, قتلت السيدة الوحيدة التي اهتمت لأمري

فـي هـذه الدنيا..حتـى موتهـا جـاء نتيجـة حبهـا لي..أنهيـت حياتهـا برؤيـة زوج ابنتهـا مـع ابنتهـا الأخـرى!
وحتـى موتهـا لـم يدفعـك للتوبـة وتصحيـح الخطـأ بـل أكملـت سـادرًا فـي قذارتـك!
لقـد اتصلـت بـي الحمقـاء وهـي تظـن أن علمـي بخيانتـك سـيعجل بطلاقنـا وزواجهـا منـك.. إلا أنهـا لـم تتخيـل أن مـا فعلتـه سـيعجل بموتكمـا معـا!
فبعد أن تركت البيت جلست هي تبكي على الأريكة وظهرها لي..
- (علمتِ الآن أنه خدع كلينا؟
علمتِ لم أكرهه؟
لقد تسبب بموت أم..)
وقبل أن تكمل الكلمة كنت قد أطلقت النار على رأسها!
والباقي أنت تعرفه..!
وجدتهـا الشـرطة وفـي يدهـا مسدس، ومـع علـم الجيـران والمحيطيـن بأنهـا كانـت تعانـي الاكتئـاب الحـاد بعـد وفـاة أمنـا، فلـم يتخيـل أحـد أنهـا قُتلـت!
لقد هيأت الأمر يا عزيزي كما لو أنه انتحار..
كنـت أعلـم أنهـا تبيـتُ وتحـت وسـادتها مسـدس، إذ كانـت تخشـى مـا قـد تجـره عليهـا وحدتهـا فـي الفيـلا الكبيـرة بعـد مـوت أمها..ولـم يعلـم عنهـا هـذا سـواي..طبعا أو لسـتُ أختهـا!
بعـد أن سـمعتُ كلماتـك تكونـت فـي رأسـي خطـة القتـل وكيفيـة الهـروب كاملـة..
لـن تصـدق أننـي حتـى فكـرت فـي خطـة قتلـك أنـت أيضـا وكيفيـة

الهروب كل ذلك اعتمل في ذهني تدبيره بإحكام...لا تتعجب يا حبيبي فنذالتك كانت طاغية وجحودك كان يقوي عزمي!
أما عن حجة غيابي من الجريدة..فقد ساعدتني الخائنة عندما نبهتني ألا أخبر أحدا بموقعي.. فأخبرت الزملاء بأن ورائي مكالمة طويلة مع مصدر في إحدى القضايا..وهو أمر كما تعلم شائع في عملنا!
لذلك لم يلحظ أحد غيابي!
هذه هي ميزة خفية للعمل صحافيا يا عزيزي..الكل مشغول ولاهٍ عن الآخر..فهدف الجميع هو الإنجاز السريع وإحراز السبق!
أما الآن وبما أنني قد انتهيت من سلمى، فيسرني أن أشرع في الخلاص منك أيضا يا روحي!
دسستُ لك مخدرا يجعلك كالمشلول تسمعني وتراني وتشعر بكل شيء، إلا أنك لا تملك أدنى قدرة على الحركة والكلام..
وبعد أن تفقد وعيك وتغلق عينيك الغادرتين، سأغلق منافذ البيت وأترك لك قهوتك على النار لتغلي حتى تفور وتنطفئ الشعلة ويتسرب الغاز، وسيصلني خبر مصرعك اختناقًا وأنا في العمل لأنهار على إثر سماعي نبأ الفاجعة، ولأستقبل التعازي من كل من هم حولي وأستمتع بشفقتهم عليَّ وهو يأسون لحالي من كثرة المصائب التي تلم بي المصيبة تلو الأخرى!
ولا تخش أثر الدواء.. سيزول من جسدك ولن يكون هناك أي دليل على مقتلك العمد!
شكرا لك يا زوجي..شكرًا يا حب العمر يا أوفى من قابلته في حياتي!!

لو تكلمت فيك وعنك العمر بطوله، فلن أفيك حقك!!
الآن سأسترد كل ما منحتك اياه.. ولكنني لن أسترد الشقة التي منحتها لأهلك، سأكون كريمة مع أهل زوجي الميت..لن أؤاخذهم بجرمك، بل إنني سأهب أباك البيت باسمه..سأكون كريمة مع جد ولدي القادم!
(نظر لي والدموع تنهمر من عينيه وهو غير مصدق!)
نعم يا شريف نسيت إخبارك يا عزيزي..أنا حامل!
وداعا سأربي طفلنا وحدي..وسأخبره كما كان أبوه نعم الزوج..
وكم كنت ستكون نعم الأب!
أنت المسئول عن البداية..وأنت أيضا من يتحمل وزر النهاية!
في تلك اللحظة لمعت عيناه..ورأيت فيهما مسحة الندم على ما مضى من عمره وعلى ولده الذي لن يلقاه أبدا!
وما لبث بعدها ثانية من الزمن حتى أغلق عيناه للأبد!..
سحبته إلى سريره.. التقطت الفنجان ونظفته من آثار المخدر..
وفي تمام الثامنة صباحا كنت قد تأكدت من إغلاق منافذ البيت كلها..
احتضنته للمرة الأخيرة وقبلت رأسه..
أشعلت الموقد لإعداد قهوته ولم أغادر بيتي حتى تأكدت من فورانها وبدأ تسرب الغاز..
الآن أنا إنسانة جديدة.. صحفية ناجحة وأم مستقبلية سعيدة..لقد رجعت لحياتي مرة أخرى..حياتي التي استحقها..
في العمل استقبلني جميع الزملاء بالورود -بعد رجوعي من الإجازة-

أعلنت حملي للجميع، وعبرت عن فرحة شريف العارمة بي..
وتحدرت من عيني دمعة وأنا أتمنى لو بقيت أمي وأختي وعلمتا بالخبر كانتا لتفرحا كثيرا بي..خاصة أختي!!
وجلست على مكتبي بعدها استقبل التهاني والحلوى وأنا أراجع عملي الجديد..
الأمر كله مسألة وقت حتى يصلني خبره..
وحينها سيعزو الزملاء والرفاق الأمر إلى أني محسودة دومًا ولا تكتمل لي فرحة!
حسنا، ماذا بوسعنا أن نقول! إنها الحياة القاسية!
الآن أنا وحدي تماما..
الآن أبدأ من حيث انتهيت..
الآن أنا سعيدة..
لقد تخلصت أخيرا من الخونة!

تَمَّت

المُنْتَصَف المُمِيت

لو استطعنا الاطلاع علي المستقبل.. هل كنا لنغيّر الحاضر؟!
كان هذا سؤالي الأزليّ!
الأمر يطاردني لسنوات.. ولم تنتهِ المطاردة بأية إجابة!

التوقيت: السادسة صباحًا

المكان: القاهرة..إحدى مستشفيات التجمع الخامس

لم يعد بداخلي شعور..توقف كل شيء فجأة!!! الزمن..الألم.. الخوف..والحياة أيضا!!

الآن يصبح المحيط باردًا..باردًا جدًّا!!

لون الغرفة لا تميزه عيناي..حتي دمائي السائلة بجانبي لم تعد تهمني كثيرا..عندما تتعرض لنزيف حاد يصبح كل شيء مختلفًا.. للوهلة الأولى تنظر للأمر بانبهار..هل حقا بداخلك كل تلك الكمية من الدماء؟! بعد ذلك تتوقف الأسئلة بداخلك..تصبح عالقًا في المنتصف!

لقد كنت أعي كل شيء ولا أشعر بأي شيء..لا يدور بعقلي ما يشغله، باستثناء سؤالي القديم..فقط لو كنت أعلم، هل كان بإمكاني التغيير؟!

- يجب أن يتم استجوابه الآن.

- لا يمكن فقد تعرض لنزيف حاد منذ اثنتي عشرة ساعة!

- أيها الطبيب أنت لا تعي ما يحدث..نحن أمام كارثة بمعني الكلمة! يوجد أمامي زوج بين الحياة والموت في مَشفى لا أعلم كيف وصل إليها بتلك الحالة, وزوجة ميتة بالفعل في منزلهم!! لقد فزع الحي منذ ساعات علي تلك الكارثة ولا يوجد أمامي غير

استجوابه لمعرفة من فعل هذا؟!
عند سماعي لكلمة زوجة ميتة اتَّسعَت عيناي فجأة، وصرختُ بأعلي صوتي:
زوجةُ مَن الميتة؟..هل تتكلم عن زوجتي أنا؟! هل تقصد ليلى؟!
- دكتور مصطفي..للأسف زوجتك عُثِرَ عليها منتحرة في نفس توقيت دخولك للمَشفى وبجانبها سكين, وبمعاينته وُجدت عليه آثار دماء مطابقة لدمائك..!
- ماذا حدث في الليلة الماضية سيد مصطفي؟
- هل أصابتك زوجتك بذلك السكين؟ وكيف وصلتَ إلي هنا وحدك و أنت مصاب بهذا الشكل؟ هل أنت قادر علي التكلم الآن؟!
- لم أكن أعلم أنها ستصل لتلك الحالة من الجنون..لم أكن أعلم.
- أي جنون؟! من فضلك اشرح ما حدث بشكل مفصل!
لم أكن أسمعه أو أجيبه في تلك اللحظة..كل ما كنت أشعر به هو العجز والألم والندم لأني لم أُقَدِّر ما وَصَلَتْ ليلى إليه من موتٍ فِعلي قبل موتها المُحَقَّق!
- دكتور مصطفى..هل تستمع إلي؟!
- لقد أخبرتك يا حضرة المحقق..إنه في حالة صدمة بالإضافة لضعفه الواضح..يجب أن تتركه كي يستريح!
- لقد كانت تؤمن بوجود شخص ثالث معنا في المنزل!
قلتُها عند استعداد المحقق للخروج بعد اقتناعه بكلام الطبيب بألا فائدة من استجوابي وأنا بتلك الحالة.
- ماذا قلت؟!

- قلت أنها كانت تؤمن بوجود شخص ثالث معنا في المنزل.. كانت تقتنع بوجود امرأة ثانية تعيش معنا..تظهر في الليل وتتجول في منزلنا!

توقف الجميع عن التكلم بعد ما قلته..لم يستوعب أي منهم ما أتحدث به..أنا نفسي لم أستوعب ما وصلت إليه إلى الآن.

- أكمل يا دكتور أنا أستمع إليك..قالها المحقق بعدما أصبح الفضول يحثه على الاستماع أكثر من أي وقت مضى..

- كُنَّا أنا وليلى أصدقاء منذ الطفولة..أحببنا بعضنا منذ زمن طويل حتي أننا قد تقدمنا لذات الكلية معا..عندما انتهينا من الدراسة تزوجنا سريعا..أما أنا فقررت استكمال دراستي حتى الدكتوراه. كانت حياتنا مثالية..حتي ستة أشهر مضت..حينما بدأت تراودها الخيالات بتغير أماكن الأشياء واختفاء البعض منها..في البدء كان الأمر عاديا،ثم فيما بعد توصلَّتْ إلي أن هناك من يعبث ببيتنا.. لم تكن المفقودات كثيرة..لكنها كانت أشياء صغيرة تهمها..كزجاجة عطر أو قلم حُمرة تستخدمه طوال الوقت..أو في بعض الأحيان كتاب أو مفكرة..لذلك لم أحبذ فكرة أن هناك مَن يسرقنا..لو كانت أشياء ذات قيمة كنت لأفكر

بهذا..ولكن هل يعقل أن يسرق أحد تلك الأشياء الصغيرة؟! وإن افترضنا كما كانت تقول

لي أن الغرض من السرقة يمكن أن يكون إزعاجنا..فهل حقا سيزعجنا اختفاء قلم حمرة

أو مفكرة؟!

ولكن ذلك كان مجرد بداية لما هو أسوأ..قلتها وأجهشت بالبكاء.. كنت قد فقدت قدرتي علي الصمود في تلك اللحظة!

- دكتور مصطفى..أنا حقا أتفهم شعورك وحالتك الصحية والنفسية ولكن يجب أن نعلم ما حدث علي وجه الدقة لنستطيع مساعدتك.
- أكملتُ بألم..
بعد تلك الأحداث قررَتْ أن تمنع السيدة التي كانت تساعدها في أعمال المنزل من الحضور..كان قد طاشَ صوابُها تمامًا..
فاضطررتُ أنا للتحدث إلى السيدة بهدوء, وأخبرتُها أن حالة زوجتي النفسية بحاجة لعناية خاصة، وفور تحسنها سنستدعيها مرة أخرى! كانت سيدة مهذبة وأمينة، و لو تركتُ الحديث لليلي، كانت لتتسبب لنا بفضيحة في الحي بأكمله! أتتخيل أنها كانت تريد أن تواجهها بسرقتها لقلم الحمرة الخاص بها؟! لم يكن أمامي حل آخر..
- وهل توقف الأمر بعد انصراف مساعدتها من المنزل؟!
بل ازداد بمرور الوقت..كنا معتادين علي تبادل الزيارات بيننا كأصدقاء..
لعلّ من أسباب تعلُّقي بليلى، هو وجودنا ضمن رابطة مغلقة من الأشخاص..
منذ طفولتنا حتى وصلنا لسن الثلاثين معا..لم يتغير شيء ولم نبتعد عن أي مما حولنا..
لقد درسنا معا, وكبرنا معا , تقريبا لم يتغير نمط حياتنا..وفجأة هي قررت التخلص من كل هذا!!
بدايةً، توقفت عن زيارة عائلتها أو الرد علي اتصالاتهم، وبررت ذلك بسفرهم إلى دبي وعدم رغبتها في السفر إليهم..لكنهم حتي عند نزولهم في إجازات كانت ترفض زياراتهم! حتي نال الإحباطُ

الممتـزج بالألـم مـن والديهـا، وقـررا السـفر مـرة أخـرى علـي وعـد منـي بالإصـلاح بينهـم وتقصـي أسـباب مـا حـدث!

- ولكـن سـيد مصطفـى، لمـاذا لـم تفتـرض أن أحـد والديهـا قـد أسـاء إليهـا علـى نحـوٍ مـا، لـذا قـررت أن تقطـع علاقتهـا بهـم لهـذا السـبب.. ألـم يكـن هـذا احتمـالًا واردًا؟!

- لا..لا، ليـس والداهـا ممَـن يُظَـنُّ بهـم هـذا، فعلاقتهـا بهـم لطالمـا كانـت علاقـة قويـة للغايـة، ولـم يكـن هنـاك مـا يدعـو للقطيعـة بأيّـةِ حـال!!

الآن سيعودان ليجداها جثة هامدة..لم أستطع أن أفي بوعدي لهما!

- ولكـن ألـم تفكـر فـي عرضهـا علـي طبيـب نفسـي لتفهـم مـا حـدث لهـا؟!

- لـو كنـتَ بموقفـي هـل كنـت لتبعـث بزوجتـك لطبيـب نفسـي لمجـرد رفضهـا لمقابلـة بعـض الأصدقـاء والأهـل وطلـب تغييـر مسـاعدتها فـي المنـزل؟!

كل مـا تفهمتـه وقتهـا أنهـا مرهقـة وتعانـي مـن الضغـط لفتـرة، وستتخلص منـه بقليـل مـن التفهـم والاهتمـام الزائـد.. فـلا بـأس ببعـض الانعـزال عـن المجتمـع إن كان ذلـك سيحسـنها, خاصـة أنهـا..... فـي تلـك اللحظـة توقـف لسـاني ووضعـت رأسـي بيـن كفـي..

- خاصة أنها ماذا؟! قالها المحقق بارتياب..

- خاصـة أنهـا تعرضـت لثـلاث حـالات إجهـاض منـذ زواجنا..لقـد تزوجنـا منـذ سـت سـنوات..لم نواجـه أيـة صعوبـات فـي أمـر الحمـل وبالفعـل كان يحـدث, ولسـبب غيـر معلـوم ولـم يتفهمـه الأطبـاء كانـت تجهَـض كل مـرة فـي شـهرها الثالـث!

فـي أول حمـل جـاء تفسـير الأطبـاء بـأن مـن النسـاء مَـن يتعرضـن للإجهـاض فـي بدايـة زواجهـن, وأنهـا لا تواجـه مشـكلة فعليـة فـي الأمـر، وتجـاوزت ليلـى الأمـر سـريعا..حتي تكـرر الأمـر ذاتـه لمرتين أخريين -فضـلًا عـن الأولـى- آخرهمـا كانـت مـن سـتة أشـهر..

- أبعد كل هذا لم تفكر في استشارة طبيب نفسي...؟!

- لعلي الآن أدرك أنه كان خطئي الفادح أنني لم أفعل....!

(فترة من الصمت)

- يمكنك أن تكمل يا سيد مصطفى..

- منـذ حوالـي أسـبوع، بـدأت الأمـور تـزداد سـوءا..بدأت تختفـي الأشياء الصغيـرة مـرة أخرى..ولكـن تلـك المـرة لـم يكـن أمامهـا أحـد لتتهمـه، بعـد أن حولـت البيـت لثكنـة عسـكرية يمتنـع علينـا إدخـال أي أحـد إليهـا!

بعـد ذلك..حاولـت طمأنتهـا وحادثتُهـا جـادًّا بوجـوب زيارتنـا لطبيـب، ولكنهـا رفضـت رفضـا قاطعـا وعندمـا كـررتُ مطلبـي، عـلا صوتهـا وبـدأ صراخهـا يتسـلل لمسـامع الجيران..حتـي أن الأمـر قـد وصـل لزيـارة بعـضٍ منهـم لنـا -بعـد علـو صوتهـا- للتأكـد مـن سـلامتها..

الأمـر كان محرجـا ومؤلمـا جـدا بالنسـبة لـي.. إذ لا يمكنـك تصـور وتحمُّـل نظـرة النـاس إليـك كوحـشٍ يـؤذي زوجته..بينمـا أنـا -فـي حقيقـة الأمـر- أقـف عاجـزا غيـر قـادر علـى الـرد علـي صراخهـا المتواصـل! حتـي أنهـا فـي بعـض المـرات حينمـا بـدأت وصلـةً مطولـةً مـن الصـراخ، انهـرتُ باكيًـا أمامها..كنـت أبكـي عليهـا وعلـي مـا وصلـتْ إليـه..

- ولكـن كيـف وصلنـا لتلـك الليلـة يـا دكتـور مصطفـي؟! كيـف

انتحرت زوجتك وكيف أصبت..بل وكيف وصلت للمشفي من الأساس وأنت بتلك الحالة؟!

قبل أن أحدثك عن تلك الليلة يجب أن تعلم ما حدث خلال الأيام القليلة السابقة على تلك الليلة..كانت ليلي مستمرة في تدهورها لدرجة أجبرتني أن أجلس لجوارها طوال الوقت..حتي أني قد استأذنت في إجازة عاجلة من عملي لمدة أسبوع لأفكر في وسيلة لإنقاذها مما آل إليه حالها..كنت أعلم أن المرض النفسي قد سكنَها بالكامل ويجب أن أتصرف بسرعة قبل أن أفقدها..كنت أظن أنه مازال هناك بعضٌ من أمل!

في إحدى تلك الليالي ومن كثرة الإرهاق والتفكير والبحث عن أسماء لأطباء نفسيين جيدين..قررت مكالمة أحد أصدقائنا المقربين وشاركته الأمر وقررنا البحث معا..حتى انتبهت لصوت صراخها بوجود امرأة , أخذت تقسم لي أنها قد رأت طيف فستانها الأسود يطوف علي سلالم البيت..ارتعبت من كلماتها وهبطتُ الدَّرَجَ مسرعًا لأستطلع الأمر.....وأثناء ذلك نبهتني ليلى أنها قد لمحتها تتجه باتجاه إحدى الغرف، منذ تزوجنا وتلك الغرفة مغلقة ومفتاحها مع ليلى بحجة أنها تستخدمه لحفظ أشيائها الثمينة!!

كانت زوجتي ممن يهوون اقتناء الأنتيكات، ولم يكن أمر إغلاقها لتلك الغرفة يزعجني فهو بيتها بالنهاية ولها حق تنظيمه كما تشاء..

فقط طلبت منها ألا تقلق وتذهب لإحضار المفتاح وأنني سأنتظر أمام الباب المغلق ريثما تعود..نظرة الرعب التي كانت تتملكها كانت تدفعني للقيام بفعل أي شيء لتهدئتها، حتي لو كان تصديقي

أن أحدهم مختبيء في إحدى غرف منزلنا المغلقة بواسطتها!
كم استغرق وقت إحضارها للمفتاح؟
حوالي دقيقتين.. صعدت مهرولة حتى غرفتنا وأحضرت المفتاح ونزلت مسرعة تركض علي السلالم..بعدما أحضرته طلبت منها أن تقف ورائي بينما نبحث عن مقتحم منزلنا..وعندما فتحت الغرفة، كان المكان مظلما وأضأته لأجد كل شيء في مكانه..بل أن شباك الغرفة الوحيد مغلق تحوطه أسوار الحماية الحديدية من الخارج..أي شخص عاقل كان سيفكر في تلك اللحظة أنها قد جُنَّتْ، فالبيت كله مُأمّن ومحاط بأبواب حديدية..فمن أين سيدخل أحدهم من الأساس؟!
معني ذلك أنك اكتشفت تحولها لمريضة هلاوس بالنهاية..
بل اكتشفت أنها مريضة فصام منذ البداية..!ماذا؟! قالها المحقق مشدوها..
في الغرفة كان يوجد صندوق خشبي كبير وجدته مفتوحا..بداخله كل ما اختفي منها علي مدار ستة أشهر كاملة وبجانبه فستان أسود يشبه ما كانت تصف به السيدة مقتحمة المنزل!
دكتور مصطفي..هل تريد أن تقنعني أن زوجتك قد ارتدت فستانا أسود وذهبت للغرفة وفتحتها وخلعت ذلك الفستان بجانب الصندوق وعادت لتغلقها ثم صعدت لتضع المفتاح مرة أخرى, ثم أخذت تصرخ مستنجدة بك.. ولماذا لا تكن أنت من فعل ذلك؟! منطقيا يمكنك! فبمعاينة منزلكم للمرة الأولى لاحظت وجود غرفة الأنتيكات بجانب غرفة مكتبك..!
وكيف أفعل ذلك وأنا بمكتبي وليس معي مفتاح بل وكيف أخذت

الفستان من خزانتها وهى لا تغادر الغرفة بأي شكل ولم يكن من ضمن مفقوداتها أي فستان..بل و الأدهى من ذلك كيف أمكنني فعل ذلك وأنا أتكلم مع صديق لي عبر الهاتف كي أخذ منه أرقام هواتف ما رشحه لي من أطباء أكفاء حسب وصفه؟! إن لم تكن تصدق يمكنني إعطاؤك اسمه وسؤاله عن كل هذا..بل يمكنك التحقق من قاعدة بيانات الاتصال لتتأكد من وقت مكالمتنا تلك الليلة وبأنه قد سمع صرختها وانقطع اتصالنا فجأة حتي عدت بعدها لطمأنته أننا بخير!

لا يمكنك اتهامي بأي شيء أيها المحقق! الأمر برمته قد حدث أمام الناس رغم محاولاتي المستميتة لإخفائه..

شعرت في تلك اللحظة بأن روحي تسحب من بين أضلعي.. كان الأمر أشبه بالتوقف البطيء عن الحياة..ارتعب الطبيب عندما وجدني في تلك الحالة وطلب من المحقق المغادرة حالا.. الساعات التالية لمحادثتنا لم أستطع التفوه بكلمة..علي نهاية اليوم طلبت من الطبيب الاتصال بالمحقق لأخبره بباقي ما حدث..وافق علي مضض بعدما أقنعته بأنه قد يعاجلني الموت في أي وقت قبل أن أكمل له.. يجب أن يسمح لنا بأن نكمل ما تبقي من حديث.. تعاطف معي الطبيب وذهب في هدوء واعدًا لاستدعاء المحقق مرة أخرى..

وقتما يقترب منك الموت تصبح كل الحقائق ثقيلة علي روحك.. وكأن ما يربطك بالأرض في تلك اللحظة هو أثقال الحقيقة!

- لقد استدعاني الطبيب بناء علي طلبك يا د. مصطفى، أرجو أنك قد أصبحت على حال أفضل الآن!

(قالها المحقق وهو يشعر بتعاطف لم يُبده تجاهي سابقا..)

- قد شارفت الحكاية على الانتهاء ويجب أن أكملها لك الآن..
وأنا استمع إليك يا دكتور مصطفي..
بعد تلك الحادثة بثلاثة أيام تحولت ليلي من حالة الهياج الكامل إلي السكينة التامة..السكينة الموحشة..لم تعد تتكلم أو تأكل أو تشرب.. لم تعد تفعل أي شيء باستثناء السكون..كانت قد تأكدت بنفسها من حقيقة مرضها فآثرَت السكون...حتي جاءت ليلة البارحة..
كنت قد طلبت من صديقي إرسال رسالة بريدية بأسماء وهواتف الأطباء في نهاية مكالمتي التي قطعتها صرخات ليلي في بدء الأمر..وفعلها هو مشكورا ويمكنك التأكد من ذلك وقتما شئت, سأطلعك على بريدي للتأكد من أقوالي..
وبعدما استقبلت تلك الرسالة، قررت البدء بأول القائمة حيث نصحني صديقي وقتها بأن أبدأ بالتواصل مع هذا الطبيب علي وجه التحديد لأنه أفضلهم.. وبالفعل بدأت بالتكلم معه وعندما أنهيت المكالمة التفت لأجد زوجتي ورائي..حاولت تهدئتها والتكلم معها بهدوء لكنها كانت قد أخذت القرار النهائي قبل محادثتنا.. كانت تمسك بيدها سكينا وبدا أنها تتأهب لفعلٍ أحمق –كما بدا لي من نظراتها- حاولت منعها وأثناء ذلك اخترق السكين جانبي..لم أشعر بشيء في لحظتها..لم يستغرق الأمر برهة فقد كانت بين أحضاني أحاول طمأنتها, بينما السكين ينغرز في جسدي بدون أدني شعور من كلينا.. فقط صراخها قد نبهني وسقوطي بعدها علي الأرض وشكل الدماء قد أوضح لي كل شيء..أخذت تصرخ وأنا أهدئها بأنه جرح بسيط وبأني سأذهب للمشفي ولا أريدها أن تتحرك..خرجت وقدت سيارتي ووصلت للمشفي التي لا تبعد سوى دقائق عن المنزل..ولم أفق إلا علي عبارة زوجة ميتة..لقد

قتلت نفسها ولم أستطع منعها....رحلت لأبنائنا..تاركة إياي في مرمي الألم الأبدي..

- أنا أعتذر حقا يا سيد مصطفي..قبل أن ألبي طلب طبيبك بالمجيء إليك، قمت بمراجعة أقوالك السابقة، وخط الهاتف وتأكد لنا صحة ما قلته..لقد تم إبلاغ والدي زوجتك وأزعم أنهما قد وصلا القاهرة منذ ساعة.. حقا أعتذر..كل ما أطلبه منك الآن هو الاسترخاء ريثما تتحسن حالتك وسأخبرك بكل المستجدات فيما بعد..

- كيف فَعَلَتها؟! بل كيف علمتم بما حدث لها؟! انطلقت من فمي بدون شعور..

- قطعَت شريانها بنفس السكين الذي أصابتكَ به. علي الأغلب اعتقدَتْ أنها قد قتلتك، ولم تحتمل –شعوريًا- نتيجة فِعلَتِها، وعندما وصلَتَ إلي هنا، علمنا هويتك وعنوانك من متعلقاتك, وحاول رجالنا الوصول إليها..فوجدوها بتلك الحالة..أنا حقا أعتذر بشدة!

- بعد الموت يمرُّ كل شيء سريعا..

فيما بعد محادثتي مع المحقق بساعات وصل والداها ووصل أصدقاؤنا وتم الترتيب لميعاد الجنازة والعزاء,كان الأمر يمضي كما الخيال..كان كل شيء يجري سريعا..وكنت أنا صامتا..أقف في المنتصف كعادتي بلا حراك..بداخلي تصورات كثيرة لما كان يمكن أن يحدث لو أنجبت ليلي أطفالنا..هل كانت يا ترى لتصل للنهاية نفسها؟!

لم أستطع البقاء بالمشفي أكثر..في البداية رفضت إدارة المشفي.. ولكنني صممت علي ما أردته، مستعينا عليهم بسطوة المحقق

الـذي سـرعان مـا اسـتغللتُ شـفقته تجاهـي جيـدا..
(عندمـا يمـوت أحـد مقربيـك تصبـح فجـأة محبوبـا ومحـط انتبـاه كل مـن حولك..خاصـة الغربـاء!)
لـم يكـن الوصـول إلـي المنـزل بالأمـر الهيـن، فيمـا بعـد بـدأ والـداي وأصدقائـي بملاحقتـي بالكلمـات المعتـادة فـي مثـل تلـك الأوقـات..لا أحـد منهـم يريـد تركـي لحالـي أو حتـي التوقـف عـن الـكلام, تحاملـت علـي ذاتـي وأقنعتهـم بمـدي تحسـن حالتي..فقـط كل مـا أحتـاج إليـه هـو النـوم والراحة..ووعدتهـم الوعـد الأزلـي فـي مثـل تلـك الحـالات بـأن أتصـل بهـم فـور احتياجـي لأي شـيء, وبقليـل مـن الأحضـان الرسـمية والكلمـات المحفوظـة أصبحـت وحـدي خـلال دقائـق..
إنـه لشـعور غريـب حقا..كيـف يمكـن أن تتحـول مملكتـك لخـراب فـي برهـة مـن الزمن..بـل كيـف يمكـن للغيـاب أن يغيـر العالـم مـن حولنا؟!
عبَثًا، حاولت النوم والاسترخاء ولكن بلا أدنى فائدة!!
ظـل سـؤالي القديـم يراودنـي مـرة أخـرى.. لـو اسـتطعنا الاطـلاع علـي المسـتقبل..هل كنـا لنغيـر الحاضر؟!
لـو كنـت أعلـم -مُسـبقًا- أن ليلـي سـتعمدُ إلـى إجهـاض نفسـها وتحرمني أطفالي..هـل كنـت لأكـرر ذات فعلي؟!
فـي البدايـة كان الأمـر عصيًّـا علـى التصديق..مـن العـادي أن تُجهَـض امـرأة فـي بدايـة زواجها..لكـن الشـك بـدأ يراودنـي عنـد تكـرار الأمـر بنفـس السـيناريو..عندما سـألها الطبيـب أمامـي هـل اسـتخدمت أي أدوية؟؟..فـي تلـك اللحظـة لـم أصـدق أيمكـن أن تفعـل بـي هـذا حقـا؟ نعـم هـي كانـت ترفـض فكـرة الإنجاب..ولكنهـا بالأخيـر اقتنعـت..لا، لا، لا يمكنهـا فعـل هـذا بـي؟!
ولكـن الحقيقـة بـدت واضحـة أمامـي بعـد المـرة الثالثة..عندمـا حدثـت

مشكلة كبيرة بينها وبين والديها..كانت تظن أني خارج المنزل وقتها..إلا أنني كنت قد عدت مبكرا، فاستمعت -على غير قصدٍ مني- لوالدها يوبخها علي ما فعلته بأطفالها..لم يتحمل الأب سادية ابنته!

كان طبيبُها قد أطلعه بحكم صداقته القديمة معه على حقيقة إجهاضها لنفسها، وأنه لولا حقوق تلك الصداقة، لكان قد أخبر زوجها بالحقيقة كاملة! ولكن كل ذلك لم يجعلني أفكر بقتلها حتي سمعتُها تخرج من فمها مدويةً:

(حتي لو علم، لا يملك أن يفعل شيئا! ثم أني لا أحمل له في نفسي ما يحملني على العبث بجسدي وإفساد جمالي من أجله!

- في بعض الأحيان لا تكون الحقيقة كافية..أحيانا يستحق الناس أكثر..نظرا لإيمانهم!

جملةً دارت أمامي في فيلم فارس الظلام..ولم أنسها قط! بيدَ أن دلالتها لم تصل لي إلا عند سماعي لكلمات زوجتي الذابحة..لقد ذبحتني وكان العدل في أن أذبحها..ولكن بقي السؤال الأهم هو كيف؟!

علي مدار ستة أشهر خططت لقتلها..لم يكن من الصعب أن أصنع نسخة من مفتاح القبو الذي تستغله لنفسها طوال الوقت..وبهدوء قررت أن أخفي أشياءها الصغيرة في مكتبي..أعلم أنها حمقاء لا تقرأ ولن تدخل لمكتبي علي أي حال..

(في بعض الأحيان قد تنقذك الكتب..خاصة عندما تقرر الزواج من قارئ نهم!)

بعد ذلك لم يكن من الصعب عليَّ طلب تكرار تنظيف غرفتنا من مدبرة المنزل..حيث كثرة دخولها وخروجها كانت تربكها

كثيرا وتؤكد لها أنها الفاعلة.. فيما بعد أصبح من الطبيعي ألا تكون في وعيها.. فحبوب الهلوسة علي فترات متباعدة جعلتها تظهر أمام الأصدقاء بشكل غريب يدفعهم للابتعاد عنها..وهنا يأتي دوري في الانهيار أمامهم والتكلم عن نوبات جنونها أمام الجميع واضطراري لأخذ إجازة من العمل للاعتناء بها..

(وقتما تُقرر إقناع أحدهم بفكرة..لابد من بعض الضعف والانهيار، خاصة إن كان ظاهر خصال خصمك شراسة الطبع..وقتها فقط ستربح المعركة!)

الآن أصبح الجميع علي يقين من جنونها التام..وقد سهلت هي علي الأمر بكثرة صراخها..حتي جاءت ليلة الاتصال الهاتفي بصديقي وشريكي في الجرم رغم عدم علمه بما أفعل! اتصلت به وطلبت منه الاستماع إليَّ بلا مقاطعة..وبينما كان يستمع لصوتي المسجل أشرح له فيه كم جُنَّت زوجتي الحبيبة، كنت أنا أضع مقتنياتها الصغيرة في الصندوق وأتجهز بفستانها الأسود لأصعد وأجعلها تراني..لتري شبح سيدة المنزل الثانية!

عند صراخها هرولت لأغلق التسجيل..وضعت فستانها وأغلقت الغرفة,,لأصعد متقمصا دور المُنجِد ولأجدها متجمدة من الرعب!....الباقي تعرفونه جيدا..

لم يكن هناك شك عند صديقي بعد ما سمعه وشرحته له!

وفي الليلة المنشودة تكلمت مع الطبيب وأغلقت الهاتف..أتممت لها الحجز في أرقي مصحات مصر..وبقيت الخطوة الأخيرة..

صعدتُ لغرفتنا وطلبت منها التحدث..

لماذا يا ليلي؟!

لماذا قتلت أبنائنا؟! ولماذا أنا بلا قيمة لديك؟!

هل لأني أحببتك فوق الطاقة؟!
الآن فقط أدركُ أنكِ ما كنتِ سوى دُميةٍ بلهاء مَنحتُها ما لم تستحقه!
بالحقيقة عندما أفكر الآن لا أجد بك ما يجذب من الأساس!
كل ما في الأمر أنني كنت مجرد أبله هامَ حُبًّا بحمقاء!
ظلت تردد اسمي بتقطُّع، ولا تعلم كيف تجيب..
كان الخَدَرُ قد سرى في دمائها، لتسقط فيما بعد مغشيا عليها..
بعد ذلك جرى الأمر طبّعًا سهلًا...
قمت بطعني بواسطة يدها..ثم قطعتُ شريانها..
حسبتُ الوقت جيدا بين المنزل والمَشفي..وفق خطتي كان كل شيء مدروسًا..
كنت أعلم أن بمجرد وصولي لباب المشفي سأنهار..وأنهم سيتعرفون عليَّ بسهولة من بطاقة هويتي.. وبعدها سيسير السيناريو المحكم كما قدَّرتُهُ بالضبط!
الآن انتهي كل شيء..
تخلصت من حُب الحمقاء التي أفسدَت حياتي لسنوات..وثأرتُ لحق أطفالي الثلاثة في الحياة...
الآن أراني عالقًا في المُنتصف..لا أنا عائدٌ إلى سابقِ نفسي، ولا أنا ماضٍ إلى مستقبل آتٍ...!
أنا الآن كذِئبِ (رياض الصالح الحُسين) الذي قتل صيادَهُ...
(أدورُ في المدينة، وأعوي..
الآن أصبحتُ قاتلًا.. احذروا حُبي..
واحذروا أنيابي..)

تَمَّت

شركة السعادة

الساعة السادسة صباحا..أجلس في فراشي خائرة القوى بعد ليلة طويلة قضيتها مُسهدةً مؤرقة!
لم تكن تلك هي المرة الأولى التي أشعر فيها بأعراض الأرق!
فمنذ نحو العام -تحديدا بعد تخرجي من الجامعة- وأنا على هذه الحال!

أُدعى (نَغَم).. تخرجت في كلية الآداب، قسم علم النفس بتقدير امتياز.
منذ نعومة أظفاري وأنا مولعة بالقراءة. أقرأ بنهم في العلوم الإنسانية ويستهويني للغاية علم النفس بشكل خاص! شغفي بالمعرفة عن علم النفس صقلتُه بالدراسة التي تفوقت فيها بشكل لافت!
لكن الأقدار لا تأتي دومًا كما اشتهينا أن تكون!!
- (نغم: أنتِ طالبة متفوقة.. لقد حصدت المركز الأول على دفعتك لمدة أربع سنوات متتالية.. لكنَّا لا نريد معيدين هذا العام!)
- (كيف..ولماذا؟! المكان شاغر..وأنا أستحقه!)
- (ربما لاحقًا نعلن عن حاجتنا لمعيدين جدد، ووقتها سنرسل في طلبك ،
لكن حاليًا لا أظن!
فضلت أن أعلمكِ هذا بنفسي لأنك بمثابة ابنتي..
- (ابنتك! أحقًّا! ابنتك الفاشلة التي تريد تعيينها مكاني!)
- (اصمتي يا فتاة، هل جننتِ؟! كيف تجسرين على مخاطبة أستاذك وعميد كليتك بهذه الوقاحة؟!!..ولكني أنا الملوم إذ جلبتُكِ

لمكتبي وآثرتُ إخبارك بنفسي وشرحت لكِ واقع الأمر بهدوء.)
- (حقيقة! أية حقيقة هذه؟!)
- (حقيقة أنك تعد ابنتك منذ عامنا الأول بالكلية لكي تستحوذ -دون حق- على المكان..ابنتك العاطلة عن أي موهبة أو ثقافة..ابنتك التي تتلعثم في تلاوة اسمها،
تريد أن تسلبني حقي وتضعها –عنوةً مكاني؟!!)
لم أكد أنهي كلماتي حتى استدعى العميد حرس الجامعة، وإذا برجلين يجذبانني من ذراعي ويلقيان بي خارج المكتب، في صمت مِني وعلى مرأى ومسمع من كثيرين جلبهم صوتي العالي لمحيط مكتب العميد الذي كان مازال يثرثر بنبرته المتعجرفة التي اعتدناها منه طوال سنوات دراستنا في هذه الكلية)
- (حذارِ أن أرى وجهك هنا مرة أخرى!)
كانت تلك هي آخر جملة سمعتها وأنا ملقاة على وجهي على أرضية المبنى بينما العميد ينظر من شرفة مكتبه في الطابق الثالث مسددًا نحوي نظراته القاتلة!
انطفأ في عيني بريقها منذ ذاك التاريخ!
كل ما تحملته من عناء ومشقة وجهد، وما صبرت لأجل تحقيقه طوال سنوات دراستي الجامعية ذهب مع الريح....أي خسارةٍ يا ربي!
وفوق الخسارة كان هناك ما هو أشد إيلامًا منها، الإهانة التي تجرعتها حتى الثمالة!
- (لا تفعلي هذا بنفسك يا ابنتي إنها إرادة الله!)
جاءني صوت جدتي فجأة لينتزعني من براثن الذكريات التي عاودتني..

- (الله لم يأمر بظلمٍ يا جدتي..لكنها نفوس البشر القاسية!
مـاذا فعلـت أنـا للعميـد حتـى يحرمنـي حقـي ويمعـن فـي إيذائـي بالطرد بـل ويسـتدعي بعدهـا حرسـه ليهينونـي أمـام الناس؟!
لقد ازدراني علانيةٍ يا جدتي..
أتى بحرسه وأمرهم بأن يلقوا بي خارجًا على سلم الكلية..
اطلع عليّ الناس وأنا مهانة ذليلة!
لقد استلب حقي يـا جدتـي ونـال منـي بغيـر ذنـب ولا جريرة..ولأجـل ماذا؟
لأجـل الحمقـاء التافهـة التـي لا مَزيـة تمتلكهـا، سـوى أنهـا ابنـة عميـد الكليـة!
وماذا عني وعن أشباهنا في هذه الحياة..؟؟
أنـا التـي تجرعـتُ اليُتـم ومـرارة الفقـد باكـرًا جـدا، واختبـرتُ الحيـاة وحـدي بـلا أبويـن؟
وأنـتِ التـي قمـتِ بتربيتـي وتحملـتِ –صابـرةً- مسـئوليتي طـوال تلـك السـنوات العجـاف؟
أهذا حظُّ الشرفاء أرقاءُ الحال مثلي ومثلك في الحياة يا جدتي؟!
يفقـدون أحبابهـم ويخسـرون وظائفهـم، ويودعـون الأمـل فـي حيـاة كريمـة ينعمـون فيهـا بالسـتر وراحـة البـال مثـل باقـي عبـاد الله؟!
ماذا فعلت للعميد أو لغيره يا جدتي..؟؟؟
ماذا جنيتُ؟
بل ماذا في جُعبة الحياة من ظلمٍ -بعدهُ- لم يلحق بي؟؟)
صمتت جدتي -عجزًا- لم تدرِ بم تجيبني...!
تحدثـت عنهـا دموعهـا التـي تحـدَّرت علـى وجنتيـن حفـر فيهمـا الزمـن أخاديـدَ ووهـادًا عميقة!

مـاذا بإمكانهـا أن تفعـل وهـي العجـوز التـي كُسـر ظهرهـا منـذ أعـوام طويلـة بفقـد الابـن؟!

وحيدهـا الـذي لقـي مصرعـه وزوجتـه علـى إثـر حـادث مفجـع، وخلفـا ورائهمـا طفلـة صغيـرة لـم تتجـاوز الثـلاث سـنوات..

وكأن الألـم والتفجـع لـم يكونـا كافييـن لقصـم ظهرهـا، فـكان لابـد معـه مـن تحمـل مسـئولية تربيـة الحفيـدة اليتيمـة فـي ظـل فقرٍ مدقـع وصحـةٍ باليـة!!

ثـم بعـد احتمـال كل هـذا الشـقاء واقتـراب تحقـق الحلـم وانفـراج الكرب..يأتـي ظالـم لا يردعـه ضميـر، لينقـض غـزل الجـدة ويسـرق حلـم الحفيـدة..

لـم تعـرف بـم تتفـوَّه سـوى أن تدعـو الله أن يذيقـه -فـي أبنائـه- مـا أذاقنـي!

ثم صمتت قليلا وغلبتها طبيعتها المسالمة فعادت تقول:

- (اضرعـي إلـى ربـك يـا بنيتـي أن يعوضـك خيـرًا ممـا فقـدتِ، وحاولـي نسـيان مـا حـدث و

ولتغفري يا ابنتي..اغفري فالله غفور رحيم!)

- أغفر! ماذا تقولين يا جدتي؟!

- أغفر لماذا ولمن؟!

- من ذا الذي يستحق الغفران؟؟

- إن الغفران للظالمين ظلم للمظلومين!

صمتت جدتي ولم تُجبني..

بينما ذهبتُ أنا إلى غرفتي!

لا أحد يفهمني!

لا أصدقاء ولا معارف..ولا حتى جدتي!
أعلم أنها تحبني لكنها لا تفهمني!
الأمر بالنسبة لها وظيفة تدر مالًا..
أما أنا فبالنسبة لي فهو حلمي الكبير..
هي لا تفهم ما معنى أن يخسر المرء حلمه؟!
حلمه في أن يصبح إنسانًا ينعم بالتقدير ويحظى بالمكانة المجتمعية اللائقة بعقله وتفرده.
حلمه في الارتقاء..
يا إلهي ما كان حلمي بكثيرٍ على تفوقي ونبوغي! فلم استكثروه عليّ؟!
كل أمنياتي ذهبت أدراج الرياح!
والآن، ما الذي تبقى لي..ماذا يمكن أن أعمل؟
عام قد انقضى وأنا أفتش عن عمل يناسبني وكل ما أجده هو أشغال دون المستوى في أماكن لا تليق بشهادتي وتفوقي! حتى وإن وافقت فالمقابل المالي لا يغني ولا يثمن من جوع!
لقد باعت جدتي في سبيل تنشئتي كل ما امتلكته من حطام الدنيا –وهو قليل- ولم يبق ما يقيم أود حياتينا! وأنا ليس لي من ميراثٍ سوى عقد ذهبي متواضع أهداه أبي لأمي وقت زواجهما! أنظر إليه كلما استبد بي الحنين إلى والديّ الراحلين.
ذاك هو الشيء الوحيد الذي خلفاه لي! حتى وإن غامرتُ بذكرياتي وبعته، فستكون خسارتي المعنوية ببيعه أضعاف القيمة المادية التي ستأتي من وراءه؟!
يا الله ماذا أفعل؟..لم يترك لي أبواي مالًا أو عقارًا أعيش منه.

أحيا الآن على معاش والدي المتواضع وهذا -وحده- لا يشفع ولا ينفع في هذا الغلاء الطاحن!
وكان مما زاد من ألمي وحسرتي، هو علمي بأن جدتي قد توقفت عن تناول دوائها كي توفر لنا نفقات الطعام والشراب؟!
آآآآآآه!
يا الله أين المفر؟!
يا رب ألهمني ماذا أفعل؟!
وبينما ابتهل إلى ربي، قطع مناجاتي صوت هاتفي المحمول..
وإذا بالمتصل صديقة الطفولة ورفيقة الصبا..(ندى)!
- كيف حالك يا ندى؟!
- بل كيف حالك أنتِ؟!
- ما بكِ يا فتاة هل ستنتحبين العمر كله؟..هيا اخرجي من كآبتك الخرساء التي لزمتكِ ولزمتها هذه..
لا تتعجلي الهموم يا صديقتي فهي آتيةٌ ولا ريب
غدًا تتزوجين مثلي وستجدين الهموم تجتاح رأسك من كل حدب وصوب!
ضحكتُ قليلا فبدا على صوت ندى الارتياح..
- ما الأمر يا (ندى)..هل سافر زوجك ثانيةً؟!
- نعم سافر، أعانه الله على وقته وعمله، والآن أنا في بيت عائلتي كما تعلمين..
- ما رأيك أن تأتي لزيارتي؟..أمي تسألني عنك دائما وتطلب رؤياك.
- سامحيني يا ندى، لستُ في حالٍ يصلح معها رؤية أحد،
روحي ثقيلة ولا طاقة لي يا عزيزتي صدقيني..

- بلغـى والدتـك تحياتـي وأخبريهـا أننـي سـأزورها قريبًـا بـإذن الله حينمـا أكـون فـي حـالٍ أطيـب.
- آه..معنى هذا أنك لن تزوريها أبدا!
- لا لن أدعك تستمرين في عزلتك هذه،
- دعـك مـن الزيـارة المنزليـة الرتيبـة، وتعالـي نذهـب لمقهانـا المعتـاد! نصـف سـاعة وسـتجديني أمامك
- في حفظ الله!

لـم تكـن نـدى مـن النـوع الـذي يتـرك الاختيـارات للآخرين..مادامـت تـروم أمـرًا فهـو -علـى يديهـا- مُنقضٍ!

ولكنهـا مـع ذلـك لـم تكـن مـن النـوع المتسـلط مـن الأصدقـاء، ومـن الإنصـاف أن أفيهـا حقهـا كصديقـة وفيـة رافقتنـي وزاملتنـي علـى مقاعـد الدراسـة منـذ عمـر الخمـس سـنوات وعندمـا وصلنـا للمرحلـة الجامعيـة وتأهلنـا لنفس الكليـة التحقنـا سـويا بـذات القسم..إلا أن الفرق الوحيـد بينـي وبينهـا هـو أننـي كنـت متفوقـة بالدراسـة، أمـا هـي فـكان منتهـى أملهـا وغايـة طموحهـا هـو النجـاح ونـوال الشـهادة الجامعيـة فقـط!

لـذا لـم تكـن تشـعر بغصتـي وبمـا يعتمـل نفسـي مـن ألـم مبـرح.. لكنهـا بمحـض إنسـانية وبلطـف طبيعتهـا المعهـود كانـت تتفهـم معاناتـي ولطالمـا بذلـت جهـدًا وحاولـت كثيـرا -يشـهد الله- مسـاندتي فـي تخطـي الأمـر!

ارتديت ملابسي وحاولت الاستعداد للخروج..

فـي صالـة البيـت وجـدت جدتـي قـد نظفـت آثـار الطعـام الـذي لـم أتناولـه ووضعـت أدوات إعـداد القهـوة خاصتهـا وأخـذت رائحـة البـن المحببـة طريقهـا إلـى نفسـي فأحدثـت بـي أثرهـا المنعـش..

- الله.. ما هذا الجمال يا عزيزتي؟!
- هل ستخرجين؟ مظهرك جميل جدا!
- حسنا فعلتِ، تنزهي قليلا لتروحي عن نفسك يا ابنتي..
- انتظري، هل معك نقود؟؟
- خذي هذه وأنفقيها كيفما تشائين!
انفق ماذا يا جدتي؟ أنفق نقود دوائك؟
هل تظنين أني لا أعلم أنك توقفتِ عن تناول الدواء؟!
وكل هذا بسبب أستاذ الجامعة الفاسد!
- يا ابنتي أرجوكِ لا تبدئي..أنا بخير و...
- ولا شيء..أنا وأنتِ في نظر الآخرين لا شيء!
- سلام الآن يا جدتي!
تركتها وعلى وجهها علامات الاستفهام!
بينما في عقلي يدور شيء واحد!
الانتقام!
وصلتُ قبل ندى بوقت قصير..كان الصداع يقيم في رأسي احتفالا كعادته!
ولا يسيطر عليَّ سوى فكرة واحدة..
كيف يمكنني الانتقام من ذلك الوغد!
ولم يفت وقت طويل حتى وجدت الفتاة أمامي..
طلبت فنجانين من القهوة لنا وبدأنا حديثا سيغير مجرى حياتنا كليا!
- (نغم)..أريد أن أحدثك في شيء ولكن لا تفقدي أعصابك رجاءً!
- ما الأمر؟

- طبعا أنتِ تتذكرين د/ مصطفى..لكن ابنته هل تتذكريها؟!
- ابنته التي سرقت حقي؟
- وهل مثل هذه تُنسى يا ندى؟!
- نعم أتذكرها كطيفٍ غائم، إذ لم أرها في الكلية طوال سنوات الدراسة فيها،اللهم إلا ثلاث أو أربع مرات!
- يبدو أنها ستصير معيدة بالمراسلة كما كانت طالبة جامعية بالمراسلة أيضًا!
- لا هي لن تصير..هي صارت بالفعل!
- حقا؟ هل استلمت عملها بالكلية فعليا؟

هنا كنت قد وجمت وتحدرت من عيني دمعة، لمحتها ندى فرمقتني بإشفاقٍ جعلني أعتدل في جِلستي أستعيد نفسي سريعًا فلا شيء يؤلمني أكثر من نظرات الإشفاق من أعين الناس!

- صدقيني يا نغم، هي ليست مسئولة عما بكِ..
- لقد أرغمها أبوها على كل شيء حتى أفسد حياتها!
- إن علاقتهما سيئة للغاية!
- لقد شرحتْ لي هذا بنفسها!
- ماذا؟! هل رأيتها؟؟

أبعدتُ سريعًا فنجان قهوتي عن فمي، وأرجعتهُ في ارتباكٍ إلى طبقه على المنضدة أمامي، ونظرتُ إليها وعلى وجهي علامات الاستفهام والترقب..

- سأخبرك،
- كنت أتناول الغداء مع زوجي قبل سفره وقابلت الفتاة صدفة!
- جاءت إليَّ وقبَّلتني كصديقتين حميمتين ووجدتها تتحدث عن

نفسها وتشكو تعاستها ومعاناتها مع الوحدة حتى أنها جاءت لتتناول وحيدة!

أخبرتني أنها سعيدة بمقابلة زميلة قديمة..وأنها قد رأتني عدة مرات في الكلية برفقة إحدى الفتيات استنتجت أنها صديقتي..

- هل تصدقي أنها أعطتني رقم هاتفها وألحت عليَّ في الاتصال بها؟

- أخبرتني أنها تقيم في منزل والدتها التي توفيت وتركتها بعد تخرجها بأشهر قليلة وأن والديها قد انفصلا منذ كانت في المهد صبية، وكيف أن علاقتها بوالدها لم تكن يومًا على ما يرام بل كانت ولا زالت علاقة فاترة تخلو من المشاعر الطبيعية بين أبٍ وابنته إلا أنه أصر على دخولها كلية الآداب حتى يعينها بنفوذه في الجامعة فيما بعد إرضاءً لطموحه الشخصي دون أن يكترث لحقها الشخصي في اختيار نوع الدراسة والكلية التي تريد ابنته الالتحاق بها..صدقيني الأمر لم يكن بيدها!

- أتريدين أن تقنعيني أنها كيانٍ ساذج سيق دون إرادة؟ وأن والدها قد رتب لكل شيء؟ وهي أخبرتك بكل هذا وأنتِ الغريبة عنها ولا رابط بينكما سوى أنكما زميلتي دراسة لم تكونا حتى قريبتين؟؟!

وليتها كانت زميلة دراسة نراها وترانا..

ألا تذكرين؟ لقد سميت شبح الجامعة من ندرة حضورها!

ثم إننا لا نتذكر سوى أنها كانت تدعى شهيرة مصطفى!

- لماذا تستغربين حديثها إليَّ؟

- إن الناس لا يُخرجون أسرارهم للأصدقاء، بل للغرباء والعابرين

- أؤكد لك أنك لو رأيتِ حالها لأشفقتِ عليها!

- إن د. مصطفى هذا ليس إنسانا!
كيف يترك ابنته هكذا؟!
بدأت أستشعر تدريجيا انسحاب الألم من رأسي.. وكأن عقلي أفاق على وقع الكلمات..
ورحل الألم بعد أن رأى أن لا مكان له!
- ندى من فضلك حدة الصداع لدي تزداد..هلا طلبتِ من العاملين بالمقهى أن يحضروا لي كعكة بالسكر.. علِّي ارتاح قليلا!
ذهبت ندى مسرعة لتلبي طلبي دون إبطاء، وبينما تعطيني ظهرها، تناولت هاتفها من فوق الطاولة وفتشت عن رقم المدعوة شهيرة إلى أن عثرتُ عليها فقمت بنقلها سريعا لهاتفي وأعدت هاتفها كما كان تماما!
من أدبيات الصداقة أنك تعلم الكثير من التفاصيل الدقيقة عن أصدقائك..
وبخاصة إذا كان صديقك من الشخصيات السلسة التي لا تضع حتى رقما سريا لحماية هاتفها!
وممن تحميه من الأساس!
هاتف عادي لشخصية عادية..
لا تملك من عَرض الدنيا إلا أما وزوجا ورضيعة.. وصديقة واحدة.
ليس هناك من أسرار ولا تحتفظ بصور على الهاتف..
فتاة عادية بسيطة تسبر أغوارها بكل يسر..
وللأسف كان هذا من سوء حظ ابنة السيد/ مصطفى!
عادت ندى سريعا وفي يديها طبق الكعك..

وكانت ألذ كعكة تناولتها في حياتي، فقد كانت حلاوتها نابعة من شعوري بالسعادة أو بمعنى أصح شعوري بالنصر!

ذهب الصداع من عيني فجأة وطاف طيف من السعادة بقلبي!

أنهيت نزهتنا سريعا متعللة بأن آثار الصداع قد انتهت فجأة وصرت بحاجة ماسة للراحة..

فرحت صديقتي من قلبها وذهبت كلا منها لمنزلها..

وقبل أن أذهب لبيتي عرجتُ على محل ذهبٍ قريب..

وبعت لديه عقدي الذهبي الوحيد..ميراثي من أمي وأبي..وما تبقى لي في الدنيا من ذكراهم!

بعته وقبضت الثمن، خمسة عشر ألف جنيه!

وهو كل ما أحتاج إليه لأنفذ خطتي التي انتويت عليها..

اشتريت في طريقي كرسي مكتب مريح.. أقلام ودفاتر..نباتات صغيرة للزينة، وبعض الأدوات المكتبية الصالحة للفت الانتباه كالشموع العطرية والأقلام الحبر غالية الثمن، وحامل للهاتف المحمول يصلح لتسجيل مقاطع مسجلة من الإنترنت!

ولم أنسَ في طريقي أن أبتاع -من صيدلية مجاورة لمنزلي- لجدتي الدواء اللازم..

عند عودتي وجدت جدتي في انتظاري كعادتها مبتسمةً وادعة

ولكن ما استغربته هو ابتسامتي أنا!!

ولدقة الوصف لم تكن ابتسامة..بل ضحكة كبيرة تعلو وجهي..

كنت سعيدة فعلا وكان هذا مصدر قلق لجدتي!

لم تتفهم تبدل الحال من النقيض للنقيض هكذا على غير توقع في ظرف ساعتين اثنين!!

إلا أنها استبشرت خيرا بضحكاتي وإن كانت مفاجئة!

- افتقدتك كثيرا يا جدتي!

- انظري ماذا أحضرت لكِ؟

- دوائك..هذا الدواء سيكفيكِ مدة شهر على الأقل..لا تقطعيه مرة أخرى من أجلي!

- ولكن يا ابنتي..من أين لكِ بالمال؟!

- إياك أن تكوني قد أخذتي مبلغ من صديقتك أو..

- جدتي..لم أخذ شيئا من أحد..لقد بعت قلادة أمي!

- ماذا..لم كل هذا أمن أجل دوائي؟؟

- إنه الشيء الوحيد الذي يربطك بأمك وأباك..لماذا فعلتِ؟!

- إنه كل ما تملكينه..لقد أضعت الشيء الوحيد القيم المتبقي لكِ من أجل امرأة عجوز مثلي؟!

- جدتي أرجوك دعيني أشرح لكِ..أنتِ كل ما تبقى لي في الدنيا..

- لو تركتني بم تنفعني –حينها- القلادة؟!

- ومع ذلك أنا بعتها من أجل أن أنهي ضائقتنا المالية..

- وفي القريب العاجل سأشتري أفضل منها!

- من أين يا عزيزتي..

- يا ابنتي نحن لا نملك سوى معاش والدك -رحمه الله- وهو بالكاد يكفي أقل الزاد وإيجار المنزل و...

- ويجب أن تثقي بي..

- لقد وجدت عملا..

- ماذا حقا؟..متي وأين؟!

- سأخبرك بكل شيء في وقته، ولكن يجب أن تعديني بأن تتناولي الدواء وتأكلي جيدا..

- اتفقنا؟

ابتسمت جدتي وعانقتني والدموع تنهمر على خديها..

كان لتأثير جملة (وجدت عملا) مفعولا كالسحر عليها!

كنت قد أحضرت معي بعض أطباق من الأطعمة الجاهزة..تعشينا أنا وجدتي وحرصت على أن تتناول دواءها، ولم أتركها حتى آوت إلى فراشها ودخلتْ في نومٍ عميق.

وهنا بدأتُ عملي فعليا..

عملي الذي لا تراجع عنه..

أعددت لنفسي حماما دافئا وكوبا من العصير وبدأت في ترتيب أفكاري..

ارتديت فيما بعد أبهى حلة لديّ.. تزينت وصففت شعري وظهرت بالمظهر الذي أعددتُ له تماما..

رتبت مكتبي واستعنت بالأدوات التي اشتريتها..

أضئت الشمع الفواح وأنرت الغرفة بنور هادئ ووضعت أمامي عدة أوراق فارغة وبعضا من الأقلام الغالية..ولم أنس نباتات الزينة الصغيرة..

كما وضعت فنجانا أنيقا من القهوة أمامي..كانت تمتلكه أمي رحمها الله، كانت قد حرصت جدتي على الاحتفاظ به لي –كذكرى- حين أتزوج..ولكنني الآن سأستخدمه من أجل غرض أهم بكثير..

صببت القهوة وثبتُّ الهاتف ووضعته فوق الحامل..

اتخذتُ مقعدي على الكرسي الجديد، وبدأت التسجيل!

- مرحبا بكم..
- هل تعانون من الإحساس بالخيبة وعدم الجدارة؟
- هل دائما ما ترون نظرة عدم الاهتمام والتقدير في عيون من حولكم؟
- هل تشعرون بأنكم عاجزون عن تحديد أهدافكم وتحقيق غاياتكم في الحياة؟؟

حسنا..

لو قلت لكم الآن بأنه آن الأوان لكي تنتهي كل متاعبكم وأن تطرحوا عن أنفسكم كل ما يؤركم وأن تحيوا حياة تخلو من كل ما نغصها عليكم في السابق...لو قلت لكم هذا وأكثر، أتصدقونني؟؟؟

أؤكد لكم أنكم لو تواصلتم معنا، فإنكم ستشهدون بأنفسكم الفرق.

شركة السعادة ترحب بكم..

املأوا الاستبيان المتواجد رابطه في أول تعليق أسفل الفيديو وسنتواصل معكم في أقرب وقت ممكن.

أنهيت الفيديو. شاهدته فوق العشر مرات، وما كنت آكدةٍ منه حينها –لقوة منطقي وإقناعي- أن كل من يعاني في حياته، سيسارع إلى التواصل معنا..

يعتقد الناس أن تدريبات التنمية البشرية والثقة بالنفس تدفعهم لحياة أفضل..

قد يبلغ البؤس من إنسان أن يصدق أي شخص يخبره –بثقة مصطنعة- أنه سيكون بخير..

أن الحياة ستنصلح..وأن الآلام في طريقها إلى زوال يوما ما..

فقط قلة قليلة تعلم يقينا أن الصعاب التي نقاسيها في رحلة الحياة

هـي مـن أبجديـات الرحلـة، وأن الشـقاء علـى بعضنـا قـدرٌ وحـظٌ وقسـمة!! وأن السـبيل الوحيـد للبقـاء هـو حيـازة المـال!!
نعم المـال!! فعلـى الأقل إن كنـت –لا محالـة- سـأحيا تعيسـة فـي هـذه الحيـاة، فـلأن أشـعر بالتعاسـة وأنـا فـي قصـرٍ منيـف، ولأن تنهمـر دموعـي فـي عربـة علـى أحـدث طـراز أفضـل علـيَّ مـن كليهمـا وأنـا حبيسـة منزلـي الضيـق وغرفتـي البائسـة!!
بعـد أن انتهيـت مـن أمـر الفيديـو، قضيـت الليـل بطولـه أعـد لقنـاة علـى منصـة يوتيوب..
وصفحة على الفيسبوك..
كان كل شـيء جاهـزا لإقنـاع النـاس بـأن مـن أمامهـم هـي امـرأة تفهـم عملهـا جيـدا..
ولم أنس بالطبع أن أضع صورة لائقة لي..
فيمـا مضـي، لـم أكـن أرى مـن ضـرورة لوضـع صـوري الشـخصية علـى الإنترنـت..
أمـا الآن فأنـا أطمـح لأن أكـون شـخصية مؤثـرة، فيجـب علـيَّ أن أظهـر للعالـم بملامـح حقيقيـة!
أعددت كل شيء وأمضيت ليلتي سعيدة!
كانـت أول ليلـة أمضيهـا سـعيدة منـذ عهـد بعيـد تحديـدا مـن يـوم أن طـردت مـن جامعتـي!
في الصباح استيقظت مبكرا قبل جدتي..
وكانـت العـادة أن توقظنـي هـي بعـد أن تحضـر طعـام الإفطـار، لـذا استغربت نفسـي بشـدة عندمـا وجـدت نفسـي قـد قمـت بالأمـر عوضـا عنهـا!

- تفضلي يا جدتي..
- سلمت يداك يا حبيبتي..
- أتعبتِ نفسك وما كان ينبغي لكِ،..كنت سأحضر أنا عنكِ كل شيء!
- لا..ليس بعد اليوم..
- أنا من يجب عليها خدمتك..
- جدتي، لقد أعطيتني كل شيء وحان الوقت لأريحك ولو قليلا.. ثقي بي القادم أفضل بكثير.
- عساه خيرا يا ابنتي..
- أعلم أنك حزينة من أجل العِقد.. ولكن أقسم لكِ أن عملي الجديد سيعوضنا عن كل ما فُقد مِنا!
- يا ابنتي لو أنك تشركين جدتك العجوز فيما تنوين فعله..
- أخبريني عن عملك الجديد!
- ستعلمين كل شيء الليلة!
- سلاما الآن!

تركتها وغادرت..

فليس من الصعب أن تقنع عجوزا سبعينية بأن كل شيء سيصبح على ما يرام هكذا بين عشية وضحاها!

بالنهاية أنا المتحكمة في كل شيء!

اشتريت بعض من الحلوى ولعبة لابنة ندى.

وذهبت لزيارتها في بيت أمها!

لما كلفتي نفسك يا عزيزتي..إن..

ندى لا داعي لما تريدين قوله..

أنا بخير ومعي ما يكفي من المال..
لن تفقرني بعض الهدايا البسيطة لك ولابنتك!
أحست صديقتي بأنها أخطأت فبدأت بالمزاح والملاطفة!
إلا أنني -ببرجماتية متأصلة في طبعي- أدرت وجهة الحديث لحيث أريد، لأحقق هدفي من الزيارة!
- يا فتاة اسمعيني جيدا..
- لقد استطعت الحصول على عمل..
- ماذا؟؟ كيف، ومتي، وأين؟!
- لقد كنا بالأمس سويا يا نغم ولم تذكري لي شيئًا عن هذا العمل!!!
- متي بحثتِ عن الأمر؟
- اسمعي سأشرح لك الأمر تفصيلا..
- بدايةً، يجب عليَّ شكرك، وشكر شهيرة -وإن كنت أكره أباها- إلا أن حديثك عنها هو ما دفعني إلى إنشاء عملي الخاص!
- أيُّ عمل يا فتاة؟! أنا لا أفهم منك أي شيء!
- حسنا، سأشرح ولكن لا تقاطعيني!
- لقد ذكرتِ لي أن شهيرة تعاني الألم والوحدة جراء فقد والدتها، بالإضافة لتصرفات والدها المزعجة معها!
- صحيح.
- وأنا وأنتِ و شهيرة أيضا خريجات كلية الآداب/ قسم علم النفس!
- إذن فلماذا لا ننشأ مشروعنا الخاص؟؟
- شركة السعادة!!
- مركز يقيم دورات تدريبية لمرتاديه في فن السعادة وكيفية تنظيم

الحيـاة والاسـتمتاع بهـا! معتمـدًا الكتابـة كوسـيلة فاعلـة فـي طـرح الطاقـات السـالبة عـن النفـوس، والتحـرر مـن الألـم، ومواجهـة العالـم بنفـس هادئـة وروح طليقـة.

- تقصدين مركزا لتقديم محاضرات في التنمية البشرية؟

- هـذا موجـود حولنـا بالفعـل فـي أماكـن عـدة الآن، فمـا الجـدوى مـن إعـادة تكـرار مشـروع منتشـر بهـذا الشـكل!

- لا أحسب أن هذا يُدرُّ دخلًا ذي بال يا نغم!!

- هذا لأنكِ لا تتفهمين مقصدي!

- من قال أنني أنوي أن أصبح مُحاضرة في التنمية البشرية؟

- انظري..

وأخرجـتُ مـن حقيبتـي عـدة أوراق، ومضيـتُ أشـرح لهـا فكرتـي وتصوراتـي عـن الأمـر برمتـه..

شرحت لها كل شيء..

- سيعتمد مشروعنا على دمج الذين يعانون في المجتمع والمحيط..

- سيفعلون بأنفسهم أشياء تغير من أنماط حياتهم..

- أولا سـنجلس معـا ونتكلـم كمـا يفعـل الأطبـاء النفسـيون فـي جلسـات العـلاج الجماعي..بعـد ذلـك سـنكتب خطابـات نرسـل فيهـا طاقتنـا وأحلامنـا لمـن نحبهـم..

- سـتكون جلسـات صفـاء ذهنـي واسـترخاء وإطـلاق للطاقـات الإيجابيـة بمعنـي أصـح!

كان نـدى تنظـر لـي باسـتغراب ودون اقتنـاع، محاولـةً أن تثنينـي عـن فكرتـي التـي تراهـا محـض هـراء!

- ندى..اسمعيني لا داعي لكلماتك المحبطة هذه...

- أنـا لا أطلـب منـكِ شـراكة! كل مـا أريـده هـو أن توصلـي فكرتـي لشـهيرة..وأنا سـأتحدث إليهـا..
- أريدكما للعمل معي..وليس لدعمي ماليا!
- ولكن..انتظري من أين لكِ بالمال؟!
- لا تقلقي، المال آتٍ آتٍ..لكني لست الساعية إليه مرة أخرى!
(كان يجب أن يبدأ الأمر بعيدا عني..
نعم كنت أملك رقم شهيرة..
إلا أن خيط البداية كان لا يجب أن يكون عن طريقي أنا!)
بعد أن تركت ندى..
ذهبت لمكتب سمسار أعرفه في الحي الذي أقطن فيه..
كان صديقا لوالدي..وصفت له ما أريد بالضبط..
شـقة ترامية الأطـراف بحـي سـكني كبير..أخبرتـه أننـي أريـد أن أتخذهـا مكتبًـا..
رحب بي الرجل واهتم بما أريد..
وبعد ساعتين من البحث عثرت لديه على ضالتي..
شـقة رائعـة متعددة الغرف واجهتهـا زجاجيـة كأنها صممت خصيصا للغـرض الـذي أريد..
أعطيـت صاحـب الشـقة عشـرة آلاف كعربـون ووعدتـه بإحضـار الباقـي بعـد أسـبوع..
وافـق الرجـل.. تصنـع أمامـي أنـه يفعـل ذلـك لأننـي أتيـت مع السمسـار فـلان صديقـه ورفيقه..وأنـه لا يمكـن أن يرفـض طلـب لابنـة شـخص عزيـز عليـه!
كان كلانـا يعلـم أننـي لـو أعطيتـه أقـل لوافق..فقد كانـت حاجتـه للمـال باديـة عليـه..

لكنني أثرت أن أطمعه في المزيد حتى يوقّع لي العقد الآن!
وبالفعل تم التوقيع، وأصبح لدي شقة باسمي..
تكلمت مع صديق والدي..وشرحت له ماهية مشروعي تحديدا ووعدني أنه سيتواصل مع محامي يعرفه حتى يسهل لي الأوراق المطلوبة.
ابتسم لي الرجل وأصر على توصيلي للمنزل..
- شكرا جزيلا لك يا عمي.. لولاك ما كانت الأمور لتتم بيسر وسلاسة هكذا..
لقد سهلت علي كل شيء وآمنت بمشروعي وهو مجرد فكرة وكنت لي عونًا على إتمام الأمر...شكرًا لك من كل قلبي.
- على ماذا تشكريني يا ابنتي..!!
- هذا بعضٌ من دين أبيك في عنقي..مهما فعلت لك ولجدتك فلن أفيه حق مساندته لي رحمه الله وغفر له..
- أنت فتاة طيبة يا نغم، أنتِ غرس أبيك الطيب وغدا سيثمر غرسه فيك بالطيبات..لا تنسي ذلك!
- رحم الله والديك..
- لا تنسي أن تبلغي جدتكِ سلامي..أخبريها أنني سأزورها قريبا لأطمئن عليه..
- مع السلامة يا ابنتي.
- صحيح يا عمي..
- كل إنسان في الدنيا يحصد غرس أبيه!..
ومن يزرع الشوك لا يجني العنب!
- وكما حصدت أنا خير أبي..ستحصد شهيرة شر أبيها!

عند وصولي للبيت وجدت جدتي نائمة..
ابتسمت فتلك علامة على أنها قد تناولت دواءها..
ساعدتها على النوم في غرفتها وهمست في أذنيها –لطمأنتها- بأن عملي يسير نحو نجاح مرتقب بإذن الله..
بينما اكتفت هي بالابتسام لي في رقة ووداعة وذهبت في نوم عميق!
نظريا كنت أسكن مع جدتي..عمليا كنت أحيا مع طفلة صغيرة تحتاج للعناية وللاهتمام..
منذ سن المراهقة وأنا أعتني بها وبنفسي كافحت وفعلت كل شيء بإمكاني من أجل النجاح!
وفي النهاية يأتي ذاك الوغد ليسلبني ما حاربت لأجله!
كنت في شرفة غرفتي أدخن وأفكر حتى تنامى لسمعي صوت هاتفي...
إنها هي..!!
ابنة الوغد تتصل بي..لقد نجحت..لقد فعلت ندى ما أمرتها به..
- مرحبا! من معي؟
- أهلا..
- آنسة/ نغم..أليس كذلك؟!
- نعم من يتكلم؟
- أنا شهيرة..شهيرة مصطفى..
- لقد تواصلت معي صديقتك ندى وأخبرتني بأمر مشروعك وقد تحمست له كثيرا..حتى أني أود مقابلتك الآن..هذا إذا سمحتي طبعا!
- أهلا بك آنسة شهيرة، أين تودين اللقاء!

- هناك مقهى صغير بجانب بيتي يمكننا التلاقي فيه..
أخذت منها العنوان، ووعدتها باللقاء بعد ساعة..
تأنقتُ في ملبسي وضعت اكسسوارًا مميزًا وتعطرت..
صحيح أن حالتي المادية لم تكن ميسورة إلا أنني اعتدت الاهتمام بظهري بحيث يراني الناس في أبهى حلة طوال الوقت..فبقليل من التدبير والعمل في فصل الصيف استطعت أن أوفر لنفسي مظهرا اجتماعيا لائقا.
لم أخبر جدتي أنني ذاهبة..على كل هي لن تستيقظ إلا في الصباح الباكر..
مسكينة لا تستطع أن تبقي مستيقظة سوى ساعات معدودة في اليوم..
مرضها وعمرها يغلبانها يوما بعد يوم..
لم يعد لها غيري في هذه الدنيا..
وأنا لن أخذلها أبدا..
وصلت إلى المكان..
وبسهولة ويسر تعرفت عليها..
الانطباع الأول..
شخصية غير مستقرة..غير ثابتة انفعاليا،
قلقة، ترتب شعرها طوال الوقت بأطراف أصابعها..
تتلفت يمينا ويسارا برأسها وهي توزع الابتسامات على كل من حولها..
أمامها -على طاولة المقهى- فنجان من القهوة ممتلئ عن آخره..
يبدو أنها قد طلبته وهي ليست ممن يحبون القهوة في الأساس!

- شعرها متوسط الطول، وترتدي ملابس رسمية كما لو أنها ستعطي محاضرة!
- ملامحها جميلة بشكل عام..تشبه أباها..وسيمة مثله لكن يبدو أنها لم ترث عنه حقارته!
لم يكن من الصعب عليَّ أبدا معرفتها للشبه بينها وبين أبيها فضلًا عن ذكرى ملامحها البعيدة في أغوار عقلي.

- أستاذة/ شهيرة؟
أيوه.. حضرتك أستاذة/ نغم صحيح؟!
اها.. أنا نغم أهلا بك..
مددت يدي اليمنى للسلام..شعرت بيدها ترتجف في يدي!
يا الله يا فتاة كم أنك ضعيفة..هل يمكن لأبيك المتجبر الذي يحسب نفسه قادرا على كل شيء أن يكون له ابنة بهذا الضعف البادي؟!
هكذا رددت في أعماقي.
- مبدأيا.. أريد أن أعبر لكِ عن سعادتي بمقابلتك..لقد أخبرتني صديقتي ندى عنك وعن مشروعك!
إنك حقا فتاة ملهمة!
- صديقتك ندى!!
- هل تعتبرين ندى صديقتك من أول لقاء بينكما!!
طبعا لم أنطقها كان حوارا يدور داخل عقلي! أما ظاهريا فكانت الابتسامة تعلو وجهي!
- أريد أن اقترح عليكِ شيئا..أريد أن أكون شريكتك..
- يعني لقد أخبرتني ندى بشأن قناة اليوتيوب والصفحات..

- عملك عظيم، ولكنه لن ينجح بدون إعلانات ممولة..
- اسمعي..اتركي لي أمر الإعلانات ولتعتبريني يدك اليمنى في العمل!
كانت سعادتها لا توصف..يا الله كم هي مهملة ومتروكة حتى تتحمس لمشروع لا تعلم ماهيته بهذا الشكل!
- ولكن هل يوافق د/ مصطفى على كل هذا؟ كما تعلمين إنه أستاذنا ويهمني رأيه كثيرا!
- حقيقة..أبي ليس له علاقة بأي شيء.. ف علاقتنا ليست كما ينبغي!
- أوه..أنا آسفة لم أقصد أن أن أثير شجونك..
- تعلمين والدك كان ومازال أستاذي الذي أكن له كل تبجيل..
فقط، لا أريده أن يظن أن هناك من يستغل ابنته ويسلبها أموالها..
التي هي بالأصل أمواله، إن أردتِ فلتعملي معي كموظفة!
- صحيح أنني سعيدة بحماسك لكني قلت لندى أن تخبر معارفنا بأمر الشركة كي ينجح المشروع..
ولا نية لي بإشراك أحد معي..
- رقمي معك متى أردتِ الحديث كعميلة فمرحبا بك..عن إذنك!
- أرجوكِ لا تذهبي!
أمسكتْ بي من ذراعي بينما أهم بالمغادرة..
- آنسة/ نغم..
- أنا إنسانة وحيدة للغاية.. أبي لم يهتم بي يوما..لقد انفصل عن أمي وعمري بضعة شهور..
بدأت الفتاة تبكي..عدتُ ل مقعدي مرة أخرى وربت بيدي عليها!

- باختصار لقد ربيت وحدي..أمي هي من تولت تربيتي وأنشأتني..
- لقد تزوجها أبي من أجل مالها..وعندما علم أنه لن يظفر منها بشيء، طلقها ونسى وجودي..
- كنت أراه مرة أو مرتين في العام.. وعندما وصلت للمرحلة الثانوية بدأ ظهوره ينتظم في حياتي..بدأ في الاقتراب وشعرت لأول مرة أنني فتاة أبي المدللة حتى أنه قد اقنعني بدخول القسم الأدبي حتى أدخل كلية الآداب وأصير مثله..فرحت جدا فهذا ما كنت أرجوه أساسا..أن أكون ابنة حقيقية لأبي!

حتى أن أمي نفسها كانت فرحة لفرحي..تصورت كلتانا أن الله قد هداه ويريد التكفير عن تركه لي فيما مضى..إلا أن هدفه بدأ بالوضوح مع بداية دخولي للجامعة..

كان يريد الاستيلاء على أموالي إذ علم أن أمي قد سجلت كل شيء باسمي..واقترب لأجل هذا!

بدأ في نهاية السنة الدراسية الأولى يقنعني بأهمية إعطائه توكيلا عاما..

- أنتِ فتاة صغيرة.. إن علم أحد أنكِ تملكين كل هذا المال لطمع فيكِ يا عزيزتي..
- يجب علي أن أحميك من الناس!
- لم أخبر أمي فقد كانت مريضة بما يكفي..
- راوغته..إلا أن القدر فجعني بوفاة والدتي..
- وهنا ظهرت حقيقة أبي كاملة لي..
- لم يعد يريد سوى المال..
- بدأ يمنعني من الذهاب للجامعة..

- حتى الاختبارات لم يكن يهتم بها..
- ستصبحين معيدة سواء شئت أم أبيتِ..
- لا داعي لحضورك الآن..
- تحولت علي يده لفتاة لا يهمها شيء..بعد أن كنت متفوقة في دراستي أهملت نفسي وحياتي لدرجة لا تتصور!
- لم يهون علي الأيام! بل زادها قسوة ووحشة..
- لم ينقذني منه سوى طنط/ دعاء..صديقة والدتي وجارتنا منذ سنوات..كانت هي من تقف له دائما..
- حتى بعدما تخرجت وعينت كمعيدة لم أذهب سوى مرة أو مرتين..
- أشعر أنني أخذت حقا ليس حقي..يعلم الله من كان يستحق مكانتي واغتصبها والدي منه!
- لذلك ومن أجل كل تلك الحكايات التي رويتها لكِ أرجو أن تتقبليني كجزء من عالمك..فأنا منذ وقت طويل لم أشعر بفرحة كبيرة كالتي شعرت بها لحظة مكالمة ندى لي..
- أعينيني، أنا أريد ذلك المشروع حقا ل أكون جزءًا من كيان لا ينتمي لأبي!
- أرجوكِ!

كنت أستمع لها باهتمام شديد..وما إن انتهت من حديثها حتى قلت لها :

- حسنا!
- أنا موافقة على عملك معي ولكن بشرط!! ستتوقفين عن قول آنسة نغم، فمنذ اليوم أنا نغم وأنتِ شهيرة

منذ اليوم نحن صديقتان مقربتان!
ما إن أنهيت كلماتي حتي تهللت أساريرها وضحكت! وفي أقل من ثانية كانت تحتضنني!
في صباح اليوم التالي أخبرت جدتي بكل شيء عن طبيعة عملي..
صمتت ولم تعلق..
- لم يعجبك الأمر أليس كذلك؟
- ليست مسألة إعجاب من عدمه يا عزيزتي ولكن أي عاقل سيأتي إليك ليهدر أمواله؟!
- لماذا سيأتون يا ابنتي؟
- من أجل الأمل..!!
- وهل ينفق الناس أموالهم من أجل الأمل؟..
- بل أعمارهم كلها إذا لزم الأمر!
- جدتي..هل تعرفين من شريكتي في العمل الجديد؟!
- ندى..لقد أخبرتني يا عزيزتي!
- وفتاة أخرى!
- من تكون..هل أعرفها؟
- لا..لكنك ستعرفينها قريبا..على كل، هي فتاة مهذبة!
- بارك الله لكِ يا ابنتي وسدد خطاكِ دائما!
- ما اسمها؟
- شهيرة..شهيرة حاتم!
كان اسم د/ مصطفى بالكامل..هو مصطفى حاتم..
هكذا عرف عنه..إلا أنني لم أذكره أمام جدتي سوى باسمه الأول/ مصطفى..

لذلك عندما يأتي الوقت وتتعرف إلى شهيرة حاتم..فلن تعلم أبدا إلى أي أب تنتسب تلك الفتاة!

(هذا دين أبيكِ يا ابنتي..وكل إنسان في الدنيا يحصد غرس أبيه)
كل مرة أنظر فيها لوجه شهيرة أتذكر تلك المقولة..
مقولة صديق أبي الذي لا يعلم أنه بشكل ما شريكي فيما حدث وسيحدث..
احذر أن تكون شريكا في جريمة لا تدري عنها شيئا!

***

مر على علاقتي بشهيرة شهرين..إلا أنها جعلتني أشعر أننا أصدقاء منذ سنوات..
أدخلتني بيتها عدة مرات.. عرفتني على صديقة والدتها.. والأهم من ذلك أنها قد أشركتني في كل تفاصيل حياتها اليومية!
أما عن مشروعنا فقد نجح بشكل لا يصدق..
كانت الفتاة محقة في فكرة الإعلانات الممولة!
أتذكر يوم افتتاح الشركة كانت أعداد المتقدمين للشركة مهولة!
ضحكت..
تذكرت عبارة جدتي وتساؤلها عن ماهية نجاح الشركة؟
أنا شخصيا لم أتوقع هذا النجاح!
أيعقل أن يكون الشباب بتلك التفاهة؟!
يأتون ويدفعون مبلغا وقدره لمكان لطيف يقدم لهم مشروبا ومقعدا وثيرا وورقة وقلم!
هل فقد الناس الأمل لتلك الدرجة؟!

هل قلوب الكثير ممن حولنا كسيرة ونحن لا ندري؟!
كيف يحيا كسير القلب؟!
عجبت من سؤالي..فأنا أيضا فتاة كسيرة القلب..!! ولكني لم ألجأ يوما لأحد!
والآن أجلس في شقة فاخرة أتقاضى آلاف الجنيهات من مجموعة من الشباب لمجرد أنني أرحب بهم وأمنحهم ورقة وقلما؟!
- ماذا سيحدث لو كان آباؤهم قد منحوهم تلك الورقة..؟!!!
- ترى ماذا كان سيتغير لو كانت الدنيا رحيمة بنا بعض الشيء؟
- هل كان سيتغير مصيري؟
- نعم كنت سأصير أستاذة جامعية لا تملك سوى مرتبها البسيط في نهاية كل شهر! أما الآن فسوف أصير أستاذة جامعية وسيدة أعمال!
- وقاتلة!

بعد مرور ستة أشهر كان المشروع قد نجح نجاحا مذهلا..أعطيت شهيرة حقها ومبلغا إضافيًا لقاء تمويلها للمشروع..ورغم أنها تملك مالا كثيرا..إلا أن فرحتها كانت عارمة!..فقد استطاعت أن تكسب مالا بفضل عملها لأول مرة في عمرها القصير!
وفي إحدى الصباحات، بينما أجلس لمكتبي أدخن وأتجاذب مع شهيرة أطراف الحديث،
رأيت لمعة غريبة في عينيها!
- ما الأمر يا عزيزتي؟ لم أرى الدموع في عينيكِ!
- إنها ليست دموعا..بل لمعة الفخر..!

- نعم..أنتِ بطلتي..وصديقتي..وكل شيء!
- لقد ظهرت لي من العدم ومنحتني ما لم يستطع أن يمنحني إياه أبي!
- الأمان والفخر!
(وسأنتزعهما منك أيتها الحمقاء..إنها مسألة وقت!)
لم أقلها بالطبع كانت مجرد محادثة داخل رأسي!
اكتفيت بالابتسام..وكان دخان سيجارتي كفيلا بإقامة حاجز من الدخان بيننا!
- شهيرة..
- نعم..
- لما لا تكتبين؟!
- ما هذا السؤال..تعلمين أني لست بكاتبة؟!
- أقصد كتابة الخطابات..أيعقل أن تعملي في شركة السعادة ولا يكون لك من اسمها حظا؟!!
- ولمن سأكتب يا صديقتي؟!
- يا نغم أنتِ تنصحين رواد شركتك بأن يخرجوا عواطفهم في الأوراق كي يبعثوا بها لذويهم..اما أنا فلا أحد لي غيرك وغير ندى وطنط/ دعاء..وأنتم على علم كامل بما أعانيه! فلمن أكتب!
- لوالدك..أم عساكِ قد نسيتي أمره؟!
- أعلم أنه قد كسر قلبك ولكن.. يجب أن تحاولي أكثر!
- نظرت للأرض وهي مترددة..
- اسمعيني جيدا..
- لقد نشأت وحيدة يا شهيرة..

- مات والداي وتجرعت مرارة اليتم..
كبرت في كنف امرأة عجوز..أعطتني كل ما تقدر عليه ولكن..
هيهات أن تعوض يتيما عن فقد والديه!
- أعلم أنه جرحك لكن..ماذا لو أن هناك فرصة!
- لا أريد أن تندمي إذا توفي لا قدر الله..
نظرت شهيرة لي لحظتها برعب وحنين..
هذا يعني أنني قد نجحت في إثارة رعبها..مما يعني موافقتها ضمنيا عما أنوي اقتراحه عليها!
- وماذا عساي أن أفعل؟!
- أرسلي له خطابا اشرحي له فيه ما حققته من نجاح..واطلبي منه أن يأتي لزيارتك في مقر عملك الجديد..
يا نائبة مديرة الشركة!
- نظرت لي شهيرة بانبهار وعدم تصديق..
- ماذا..هل قمتِ بترقيتي؟
- نعم يا عزيزتي..ومن غيرك يمكن أن يكون في ذاك المنصب؟
- لقد عملتِ بكل جهد على إعلاء شأن هذه الشركة وترقيتها وفي خلال وقت قصير كان الشباب يتوافدون إلينا من محافظات مختلفة..كل هذا بفضل جدك واجتهادك..
- نغم..أنا لا أستحق كل هذا..
- بلى تستحقين..وأكثر!
فور انتهائي من كلماتي نهضت شهيرة واحتضنتني بكل قوتها!
- أنتِ أجمل صديقة في الدنيا!
- حسنا هيا اذهبي واكتبي لوالدك..

تركتني وبينما تتأهب لمغادرة المكتب ناديتها مرة أخرى..

- شهيرة..

- لا تنسي..أخبري والدك بكل شيء..سيكون فخورا بكِ!

ابتسمت وغادرت لتنفذ خطتي..كنت أريده أن يعلم ويأتي إلي..ولم يخب ظني..!

لقد فعلها الأحمق..جاء ومعه ثورة غضب عارمة، أكبر مما كنت أريد بكثير!

- شهيرة أيتها الحمقاء..

هكذا تكلم أستاذ الجامعة المرموق داخل مقر شركتنا

هرع كل من في الشركة إلى مصدر الصوت ليرى ماذا يحدث..

بينما كنتُ أنا الوحيدة التي تظهر صدمة المفاجأة..!!

كنتُ ذات خبرة سابقة مع ذاك الوغد..

أعلم نقاط ضعفه وقوته..

إنسان متسلط عديم الصبر بذيء اللسان..

بالطبع لن يصمد عندما يعلم أن ابنته تعمل في مكان ما دون علمه..!

- أبي توقف ما الأمر؟

ما إن رأها حتى سارع إليها يريد لطمها على وجهها..إلا أن سرعة يدي قد أوقفته عند حده!

- توقف أيها الرجل..كيف تتهجم على شركتي وموظفيها هكذا؟؟

- أجننت أيها الغبي؟!

- أمامك دقيقة واحدة إما أن ترحل بهدوء..وإما أن أطلب لك النجدة في الحال!

صعق عندما رأني..

لم أعطه الفرصة..

لـم يكـفِ أننـي وقفـت بوجهـه وأمسـكت بيـده فـي حـزم وشـدة لا يصـدران مـن فتـاة..

ولم يكف أنني قد أهنته..

لقد صعقته أيضا برؤية وجه لم يكن ليتوقع رؤيته ثانية!

- نغم..!!!

- أنتِ؟

- كيف وصلت لابنتي.. أنتِ من فعل هذا؟

- أيتها الـ..

- قلت لك اصمت..

- أيها الوغد كيف تتجرأ على إهانتي علنا!

- أنا صاحبة الشركة التي تعمل بها ابنتك!

- ماذا؟

- الآن فهمت..تنتقمين مني فيها!

- يـا جبانة..لأننـي رفضـت تعييـن فاشـلة مثلـك فـي الجامعـة تتعرفيـن علـى ابنتـي وتسـتغلين أموالهـا فـي عمليـة النصـب التـي تدعيـن أنهـا شـركة؟!

- أي نصب أيها الوقح ابنتك صديقتي من الجامعة..

- تخرجنـا وافتتحـت مشـروعا وهـي مجـرد موظفـة عندي..ليسـت شـريكة ولـم أسـتغلها بـأي حـال!

- كيف تأتي لتهددني يا جبان؟

- أنـا لـن أهـددك أنـا سـوف أقتلـك وأقتـل تلـك الحمقـاء التـي تبـدد المـال؟!

- يا خرقاء..أتنفقين ثروتك على مثل هذا الهراء..؟
- ليت الله أراحني منك كما أراحني من أمك! ليتكِ متِ معها!
- لقد تجاوزت حدودك أيها الرجل..

إكراما لابنتك التي يعلم الله أنها في مكانة الأخت لدي، لن أطلب لك النجدة..مع أن كل الموجودين بالمكان شهود عليك..سأكتفي فقط بطردك للخارج!

في تلك اللحظة سحبت يده بقوة وأنا أهمس له..

- كما طردتني فيما مضى!
- أيها الأمن..ألقوا بذلك الوغد خارج مقر الشركة!

وما هي إلا ثانية حتى قام اثنان من أفراد الأمن بسحبه للخلف..

بينما هو يقذفني أنا وابنته بسيل من الألفاظ!

ولحظة أن اتخذ طريقه للخارج، دلفت أنا إلى شرفة مكتبي كي أنظر إليه!

كما فعل بي..فعلت به!

نظر كل منا صوب الآخر..

تلاقت عيناانا ولم يفهم مغزى النظرة غيرنا!

- نغم.. أنا حقا آسفة.
- أبي..

لم تستطع إكمال كلمتين على بعضهما..كانت منهارة..كان الموقف برمته قاسيا..

بل شديد القسوة..

آنسة محترمة في الرابعة والعشرين من عمرها يقتحم والدها مقر عملها ويقذفها بأسوء الكلمات والصفات..

لقد فُضحت أمام العاملين وزوار المكان..والأدهى والأهم تهديده لها!

وبينما اهتمت ندى بمسألة تهدئة شهيرة، صمت أنا في حيرة وطلبت من الجميع مغادرة المكان عدا ثلاثتنا!

- ن غ..

- اهدئي يا شهيرة..

الأمر برمته ذنبي أنا..رجعت للخلف وأشعلت سيجارتي..ونفثت خانها في الفراغ مدعية الشعور بالأسى والحزن..

- أنا من طلبت منها أن تفعل يا ندى..

- طلبت منها أن تتواصل مع والدها!

- كنت أمل أن يفخر بنجاح ابنته إلا أنه لم يفعل..وهناك أيضا ما أريد إخبارك به..

- تتذكرين الطالبة التي حدثتني بشأنها؟

- التي أخذتِ مكانها في تعيين الكلية الفارغ..

- أنا تلك الفتاة يا شهيرة..

صعقت ونظرت إليَّ في دهشة..

- لقد أهانني والدك مرتين..

- المرة الأولى حينما اغتصب حقي..

- والثانية عندما نكل بي أمامك..

- شهيرة..

- نحن أقدار بعضنا البعض..لا تستهيني بما حدث لقد بعث بكِ الله لمقابلة ندى حتي يصلني الحديث ونتعرف إلى بعضنا وتنشأ بيننا هذه العلاقة الفريدة من نوعها!

- يـا عزيزتـي..إن العامـل المشـترك بيننـا هـو ظلـم أبيـك لنـا والآن يريـد أن يسـلبنا حـق صداقتنـا، فـلا تسـتمعي لـه!

ولا تخجلي أيضا أنتِ فتاة قوية!

- لماذا لم تخبريني يا نغم..لماذا؟

- لأن صداقتنا أهم وأبقى!

- لقد عوضني الله بكِ وبندى! ولن أفرط في كل هذا!

- أنـا الآن بفضـل إيمانكـم بـي أصبحـت سـيدة أعمـال ناجحـة! لقـد أنقذتمونـي!

انهارت شهيرة وعانقتني بشدة..بينما اكتفت ندى بالنظر إلي..!!

ورغم تمثيلي المتقن، لم تكن تصدقني!

تلك هي إحدى أهم عيوب الصداقة الطويلة..

يبقـى رفيـق دربـك علـى علـم بخصالـك السـيء منهـا والجيد..يحفظهـا عنـك ولا ينسـاها مهمـا حـدث!.

وكانت ندى تعلم كل خصالي..

تعلم أنني لا أترك حقا..والأسوء أنها تعلم أنا انتقامي لم يبدأ بعد!

- ارحلـي الآن يـا عزيزتـي اسـتريحي فـي البيت..وسـوف اتصـل بـكِ مسـاءً للاطمئنـان عليـكِ!

- ما الأمر يا نغم؟

- أي أمر يا ندى!

- أمرك..ماذا بك؟

- ما الذي تخططين له..!

- أخطـط لانتقـال لمنـزل جديد..كنـت أنـوي إخبـارك اليـوم إلا أن هـذا الوغـد قـد أفقدنـي صوابـي وطاقتـي..

- كم أتمنى أن تكون هذه نيتك فعلا يا صاحبتي!!
- سأغادر الآن.. طفلتي مريضة وأود الاعتناء بها..
- كما تشائين..
- سأطمئن عليكِ مساءً!

تحاشينا النظر لبعضنا البعض..

كلانا يعلم أنه كاذب!

اتصلت بالسيدة دعاء جارة شهيرة وأخبرتها بما فعل والدها..

وأكدت على مسامعها تهديده لنا بالقتل!

الآن لدي شهود..بالَاضافة لتسجيل كاميرات الشركة..

لم يتبق سوى التنفيذ وحجة الغياب!

ذهبت إلى منزلي وأخبرت جدتي ببحثي عن بيت جديد..وأنني سأحضر لها اليوم مفاجأة..

كانت جدتي فرحة بنجاحي ودائما ما تدعو لي وتحدثني عن تعويض الله لنا!

كانت سعيدة..وكذلك كنت أنا..

في المساء ارتديت أبهى حلة لدي وأعددت شنطة صغيرة بها عباءة، قفاز، طرحة، زجاجة من الجاز، علبة من أعواد الثقاب.. وسكين كبير حاد!

نزلت من بيتي في حلتي وعندما اقتربت من بيت شهيرة ارتديت العباءة والطرحة والقفاز القماشي بمدخل إحدى العمارات في إحدى الشوارع الجانبية الهادئة..

وببطء وخفة دون أن يلاحظني أحد صعدت لبيت شهيرة..

طرقت الباب في هدوء..وكان من عادتها أن تسأل من الطارق..

أجبتها أنه أنا..
بدا على صوتها الفرحة وفتحت لي الباب بأمان..
- عزيزتي أهلا بكِ..
- لقد أتعبتِ نفسك وجئت لزيارتي تفضلي؟
كانت عيناها متورمتين من كثرة البكاء ويبدو عليها الألم والحزن..

(ملامح ممتاز لجثة!!)
- هل أحضر لكِ الشاي!
نظرت باتجاهي ورأتني أغلق الباب..ثم بدأت تنتبه لهيئتي الغريبة..
- نغم ما الأمر؟
- لم ترتدين عباءة وطرحة..إنكِ لستِ بهيئتك المعتادة..!!!
- لا يا عزيزتي هذه هي هيئتي المعتادة!
- هيئة الفقر والعمل المضني..
- هيئة الذل والمهانة..
- هيئة السكنى في بيت حقير تأكل جدرانه الرطوبة العفنة..
- هيئة اليتم..!!
- هيئة فتاة كانت كل أمالها أن تصير أستاذة جامعية..حتى جاء أبوك ونزع منها كل شيء..
والآن جاء دوري لأنزع منه كل شيء..

- نغ.....
لم تكد تكمل نطق اسمي حتى انقضضت عليها فطرحتها أرضا

وغرست السكين في قلبها بشكل مباشر!
لم تنطق من هول الصدمة..ظلت تنظر إلى والدموع تترقرق في عينيها! وسؤال واحد يعلو وجهها لماذا؟
ابتسمت..تفهمت السؤال وأجبته بهدوء..
- هذا دين والدك..وكل إنسان في الدنيا يحصد غرس أباه..
وما إن انتهيت من جملتي حتى ضغطت السكين بقوة أكبر في قلبها..لتتأوه بصوت ضعيف..
وتصمت للأبد!
قمت من فوقها بخفة شديدة..
الآن أنا أقف أمام جثة مفتوحة العينين متحجرة الدمع..داخل قلبها ينام نصل سكين!
بحثت عن هاتفها ووجدته فوق الطاولة..
كتبت لوالدها رسالة أخبره الآتي..
(أبي..لقد هددتني بالقتل من أجل المال.. مالي الذي ورثته عن أمي..
لقد تخليتَ عن ابنتك من أجل المال.. وها أنا سأتخلى عن المال كله..
غدا سوف أذهب للبنك وأسحب مالي كله وأهبه لدور الأيتام التي كانت تعتني بها أمي رحمها الله!)
أرسلتُ الرسالة له وأنا أعلم أنه وغد سيأتي من أجل المال لا من أجل ابنته!
لففت الطرحة حول وجهي جيدا..ونزلت بهدوء من الباب الخلفي في مطبخ الشقة!

لهذا كنت أزور بيت الفتاة كثيرا حتى أدرس كيفية تنفيذ جريمتي!
ذهبت لنفس الشارع الضيق المجاور لبيت شهيرة..نزعت عني العباءة والقفاز والطرحة ووضعتها في الحقيبة، سكبت زجاجة البنزين على الحقيبة..وأشعلت النيران ثم قذفت بعلبة الكبريت والزجاجة البلاستيكية إلى النار أيضا!
لم يبق ثمة دليل يشي بما فعلت!
وبحلتي الجميلة التي كانت أسفل العباءة استوقفت سيارة أجرة وذهبت لإحدى محلات الذهب طلبت منه أن يريني ما عنده وبينما أختار ما أريده..اتصلت هاتفيا بشهيرة..وأبديت قلقي أمام الرجل لأن صديقتي لا تجيب على هاتفها النقال!
اتصلت بالسيدة/دعاء جارتها وطلبت منها الاطمئنان عليها وشرحت لها أنني فشلت في الوصول لها..وطلبت منها أن تظل معي على الخط..
وحدث ما توقعت..
لقد وجِدت شهيرة قتيلة وبجانبها والدها يصرخ ممسكا بسكين يحاول انتزاعه من قلب ابنته!
الأحمق لو أنني أخبرته أن يمسك بسلاح الجريمة ليبقي بصماته عليها ما كان ليفعلها!
صرخت دعاء واجتمعت العمارة كلها وتعالت الصرخات وتظاهرت أنا بالخضة على صديقتي التي لا أعلم من أمرها شيئا..
استأذنت الرجل وطلبت منه حجز القطع التي اخترتها..
وجريت مهرولة لبيت صديقتي..

وهناك، بكيت القتيلة كما لو أنني أبكي شقيقتي!
فـي النيابـة كان مصطفـى فـي حـال يرثـى لها..يمكننـا أن نقـول عنـه مـا نشـاء لكنـه فـي النهايـة أب.. ورؤيتـه لابنتـه كجثـة هامـدة أمامـه منغـرز داخـل قلبهـا سـكين ليـس بالأمـر الهيـن..
فما بالك أن يُتهم بأنه القاتل أيضا..!
لقد قتلتُ الرجل في تلك اللحظة مرتين!
وأعتـرف أنهـا كانـت أول مـرة يتـذوق فيهـا قلبـي طعمـا للسـعادة منـذ وقـت طويـل!
بالطبع تم استجوابنا جميعا..
أنا , ندى, والسيدة دعاء!
وكانت كلماتنا واحدة..
(أبوها هو الفاعل!)
قصصـت أنـا مـا حـدث بالشـركة وكذلـك أكـدت نـدى وباقـي العامليـن بالمـكان, وحتـى الشـباب الذيـن يأتـون لمقرنـا شـهدوا بمـا رأوا مـن صفاقـة الرجـل وبحسـن خلقـي ورفضـي لطلـب الشـرطة لـه إكرامـا لمعـزة ابنتـه فـي قلبـي..
- يا ليتني طلبت الشرطة..
- يا الله لم أكن أعلم أنه سيفعلها..
- لم أكن أعلم أنه سيقتل ابنته؟!
- وحيدته..!
- أي حيوان وحشي يمكن أن يكون يا الله..
- لقد ذبحت صديقتي علي يد أباها من أجل المال..
ظللـت أردد تلـك الكلمـات وأنـا ابكـي بانهيـار وحرقـة لدرجـة جعلـت

وكيل النيابة يشفق علي ويوقف التحقيق!
ظللت أبكي وارتجف إلى أن انتهى التحقيق على شهادة شبه واحدة..د/ مصطفى حاتم أستاذ الجامعة المرموق قتل ابنته من أجل أن يستولي على إرثها!
الآن توقف كل شيء..
أحيل د/ مصطفى للمحاكمة بتهمة قتل ابنته..
توليت أنا وندى والسيدة دعاء واجب الدفن والعزاء..
أصررت على أن أتحمل أنا وحدي تكاليف كل شيء..
بينما تولى البقية أمر مساعدتي فقط!
مر أسبوع على وفاة شهيرة..
أسبوع لم أستطع أن أدخل فيه للشركة..
أسبوع لم أستطع أن أعطي فيه دروس السعادة لطلابي..
أسبوع وأنا أشعر بأنني ما عدت أنا!
أسبوع وندى تنظر إليَّ كأنها تقول أنتِ من فعلتها!
لكن لا دليل..!
شكرتني دعاء في العزاء أما ندى فاكتفت بأن تنظر إليَّ في صمت.. صمتٍ قاتل!
لم أعد أطيق البيت..نقلت لبيت أخر..
اشتريت المصوغات الذهبية التي أعجبتني في ذاك اليوم المشؤوم..
جدتي فرحة بنجاحي وسعة رزقي لكنها متألمة لما أصابني بسبب موت شهيرة..على كل هي لا تحزن من أجلي كثيرا فالمرض لا يجعلها يقظة إلا عدة ساعات يوميا..
أما جريمة قتل فتاة على يد والدها الأستاذ الجامعي فقد أصبحت حديث المدينة!

حاولت العديد من البرامج التلفزيونية أن تتواصل معي..بينما رفضت أنا أي نوع من أنواع التواصل..
مما زاد من شعبية الشركة أكثر ووطد علاقتي بطلابي أكثر..
الموت يجذب محبة الآخرين...وتعاطفعم أيضا!
يكفي أن تفقد عزيزا واحدا حتى تتحول لمحط إعجاب من الجميع..
الجميع يريد رؤياك..الجميع يتشوق للقاءك..والجميع يسعى لأن يكون أول من يسرد قصتك..
دائرة من المعرفة ودائرة من المعاناة!
منذ يومين اتصل بي مسئول من الجامعة وقال لي أن تظلماتي قد روجعت وتم إعادة النظر في أمر تعييني..
يا إلهي لقد عينت كأستاذة في الجامعة..
الآن حصلت على كل ما أريده..
بيت كبير أمتلكه وأحيا فيه وحدي مع جدتي وعدد من الخدم..
ومشروع مستقل..
وصرت أيضا الأستاذة الجامعية التي أردت..
ورأيت إعدام الوغد الذي سلبني كل شيء!
الآن أنا أمتلك كل ما فقدته وأكثر..
كل إنسان يجنى غرس أبيه..
وقد جنت شهيرة غرس أبيها..
لقد انتصرت وأخذت حقي كاملا وانتقمت من الوغد..
أقف الآن في بهو أكبر قاعات الشركة أتناول قهوتي..خلفي عدد كبير من الشباب

التفت إليهم وعلى وجهى ابتسامة عريضة لأبدأ عملي من جديد!

- مرحبا بكم..

- هل تعانون من الإحساس بالخيبة وعدم الجدارة؟

- هل دائما ما ترون نظرة عدم الاهتمام والتقدير في عيون من حولكم؟

- هل تشعرون بأنكم عاجزون عن تحديد أهدافكم في الحياة..

- حسنا، لا داعي لكل ذلك..

- لو قلت لكم الآن بأن الحياة مكان سعيد آمن وأن أحلامكم ممكنة بالطبع لن تصدقوني؟

- ولكن بعد أن تتواصلوا معنا ستشهدون بأنفسكم الفرق..

- شركة السعادة ترحب بكم.. دائما وأبدا..

- أهلا بكم في النادي!

تَمَّت

تم بحمد الله

فهرس

جريمة في الحي الصامت ٧

الجريمة الكاملة ٧٤

المُنتصَف المُميت ٩٣

شركة السعادة ١٠٩

عن الدار ومشروع النشر الحر

دار لوتس للنشر الحر هي أول دار نشر حرة يملكها كل كاتب، تعتمد مبدأ النشر الحر من خلال مشروع طموح يهدف إلى تخطي عقبات النشر ومساعدة الكاتب للنشر بطريقة تمنحه الحرية الكاملة وكل الحقوق والصلاحيات للتعامل مع كتابه دون استغلاله مادياً أو معنوياً، ودون احتكار لمجهوده الفكري في عملية تجارية.

هي مشروع خدمي وليس تجاري، تدعم الكاتب الموهوب وتسانده، تحاول الارتقاء بمستوى الأدب وتهدف إلى احترام الكاتب والقارئ من خلال نشر كل ما هو جيد دون الإساءة لشخص، أو أشخاص، أو مؤسسات، أو أفكار، أو عقائد، أو ديانات، أو أنظمة سياسية.

دار لوتس للنشر الحر

مصرية مغربية، تأسست في مايو 2017

للتواصل مع الدار والمشروع

هاتف / واتسآب
+2 01091985809 +2 02// 37390893

الموقع الإلكتروني
www.lotusfreepub.com

البريد الإلكتروني
Lotusfreepub@gmail.com

صفحة فيسبوك
FB/lotusfreepub

إصدارات المشروع

قلم عطر
وعادت ريما
مثل ليلة حب
وكأني أحبك
عالم قراطيس قراطيس
أوتار
دماء على ثوب أبيض
أموات فوق الأرض
بقلم رصاص
حريق على الجسر
القدرات السحرية
العالم لن ينتظرك
عندما ينتحب الياسمين
مرايا
البوهيمي
أيها الشباب لا تفقدوا الأمل
خريف مريم
حلم صريع
مُتيم
يوميات رجل محسود
هدوء ما قبل الانفجار
الموؤودة
أنين المساجد
صوت السماء
طبق كشري
أحببتك بعين قلبي
ما لا تعرفه عن الهجرة
الأيام الأخيرة
موانئ الرغبة
١٠٣
زمن الحنين
أوراق على دفتر الحنين
أحببتُ شبحاً
حكايات من التاريخ
كلمات ربي (ج١)
وشم على كتف الحياة
كيتو ياكيفو
يتيمة بأبوين
مائة عام على كوكب الأرض
نبوءة عاشق
رصيف نمرة ٢
قمر الدم
حنين الحنين

نساء وقيود

الآهات المكبوتة
عن الذي استدان ليشتري
الشقاء
كتبتُ أحبك
فلاكا
الآدم وهي
أحلام فجر
مفاهيم إدارية لثالث ألفية
عاشق الضي
أنامل قصصية
مملكة روح
ماهر وسماهر وبئر النسيان
الضال
خليج بلا وافدين
في ليلة شتا
الشيطانة وعصا الجحيم
أنين وردة
لا تتعجلي الرحيل
بدون
من الأكاديمية إلى الفيلا
بردية رع (ذهاب وعودة)
كاتب ونساء وعبث
جيهينا
مذكرات خادمة من مونار
بعيداً عن العالم
قمر الدم (العودة)
سنمت الغربة
هكذا ضعنا
حلم
شيء من قلبي
قطوف وحروف
عائدة من الموت
شياطين السموم
حوار في الأفكار
وأد الزهور
أغاني البادية
الفراشة البيضاء
مدينة حرف
عذرية ما قبل الواحدة صباحا
حواديت مدينة الرحاب

الضحية
غيمات حبر وحب
كهف الجحيم
الحبيب المستحيل
تنمية التفكير الابتكاري للطفل
المنهج الإصلاحي
نفيش
ورد وشظايا
ولوج
الفن مين يعرفه
كريتوس
عهد
نبض حرف لا يخون
عبد اللاه
ساكني الكهوف
أخبرت البحر عنك
أحرفي تتراقص
لا تحزني
حلم عاشق
إحساس درويش
أقلام حائرة
خشوع بمحراب الحب
قمر الدم (رحيل الآلهة)
أرض الفيروز
عبرات ضاحكة
أنا يحيى
نظم المعلومات المحاسبية
حكاياتي المحروسة
حروف من قلبي
على الأعراف
زواج افتراضي
رجماً بالغيب
ألمانتا
خواطر مع الريح
شمعة وقلم أحمر
أسلوب العدول في القرآن الكريم
الفستان الأزرق
سيجار ولص ومأذنة
الحب المفقود
القيامة الوردية
كلمات متقاطعة بالشمع الأحمر
لماذا رحلت؟
جدال

التقارير المالية
موسم التوت
عبث
سلسلة المحاسب المتميز - ج١
هل ستغفر لي
سفاح المدينة
ناروبري
حبيبة أمها
التيسير في علم التأسيس
همسات ونسمات
الملاك الأسود
ملكوت السلطانة
أنات عاشق
ساعة من الزمن
زمان غادرنا
رقة النسائم
سبعة أحلام
في انتظار المد
نداء القلوب
درب الحكايات
ضجيج البحر
من تربة الورد خلقت
شهوات العقل
قطرات منثورة
أكروفوبيا
خِدر مسلوب
دروب ملتوية
سوط الذكريات
الأخيذة
المأدبة
سيناء أرض العبور
الذكاءات المتعددة
دكتاتورية الحب
الفراشات لا تسكن القبور
تذكرة سفر
وخشعت قلوبهم
وطن الجومانجي
نموذج بايبي البنائي
المدينة الهادئة
السفينة
رشفة عشق
المسكالين
حرف تايه
حروف نابضة
الراقدون فوق التراب
أيقونة حروف عربية
ولاد الشيخ

فضفضة
كالبحر يتنفس موجا
بانعة اللبن
مركب شراع
غشاء حضارة
عظماء في الظل
الوصايا
معك دائما
نون وياء
اليمني
عندما يفوح الياسمين
عنوان مجهول
ترانيم
من بعد غياب
الرحيل إلى الداخل
ليالي باريس الحزينة
هكذا تكلم أبي
النحو الميسر
قيد الماس
أرض دي بلو
طرقتُ باب هواكِ
لحظة داخل إنسان
الذين أخفوا الشمس
أقلام نابضة
حكايا منتصف الليل
برواز على جدار القلب
كبير العيلة
وصمة عار
خربشات كاتب مجنون
اغتصاب أعشاب البحر
في ظل الحبر - ج١
أصعب فراق
للحب أكتب (أحمد وأحلام)
للحب أكتب (نادر ونورهان)
للحب أكتب (فارس ونادين)
اعرف دينك (ج١)
علماء صاروا شهداء
ضفاف
تأشيرة حياة
مجانين لا يدخلون الجنة
وجوه عابرة
امرأة خرافية
فيلم كرتون
أحوال منطقة أزواغ
محاولات
أربعون عام من الفقر
حطام زاحف

فوق السحاب
كلمات الحياة
إعصار الدم
العشق المنتظر
احترف فن كتابة الرواية
بذور الدم
حديث إلى النفس
موشور اللا متناهية
قصائد على خد الورد
عازف على ضفاف الشوق
وإني أشتهي وصلا
وانفرطت حبات السحر
هذا ما حدث بالفعل
انتبه إلى يمينك لعله يسار
ماذا علمتني الأيام
قهوة سادة
ثم أشرقت الشمس
دين السياسة
عيونك دربي
في جحر الأرانب
النارية
في الحافلة
نساء على ضفاف الحلم
تغريدة الروح والدم
ديوان الحب والحكمة
خفقات قلب
زهرة الصحراء
في ظل الحبر ٢
على ضفاف الذاكرة
محسن المصدوق
إسراء - أصفار العهد القديم
وعلينا السلام
انتقام الشر
الأحلام الوردية
أنت الحياة ودونك الموت
رسايل بحيص
ميراث الماضي
بداية حياة
سلة التفاح
فضة
قانون الحب
على الهامش
بين الجدران
سرطانية
العملاء
حنايا الروح
غربة حرف

غدا يوم جديد
أروقة الحنين
إحساس محمود
أنين سديم
الأتينيو
طلسم عشق
على شرف المحبرة
رباعيات
معزوفة حرف
في ظل الحبر ٣
أقول الأوهام
حديث الروح والقلب
أرض الأحلام
غابة التعاويز السبعة ـ ملوك وتيجان
داون ٢١
فين عصايتك
من برلين إلى مارلين
حبيبتي أميرة البحار
رسائل أحرقتها العواصف
أفكار للتأمل
الجني العجوز
أحببت قمرا
غابة التعاويز السبعة ـ أرض الأجداد
قلوب من الجنوب
بداخلي غصن زيتون
كلام ابن عم حديت
عذراً أيتها الخنساء
فليبق الأمل
لا سكاكين وجع في هذه المدينة
سر الملكوت
قرة عيني
عيناكِ
ياء.. سين
بداية جديدة لكل أم
وقتي من ذهب
القائد الصغير
سمير وهدفه النبيل
لأنكِ مني
قابلتك في المترو
قبة الحياة
ماريوه
لقاء غريب
وحينما افترقنا
دوائر
آخر قطرات الحنين

اليوم الأجمل لم يأت بعد
عندما ينطق الحرف
الغروب الأخير
رانت الأيام
أبعد من الكلمات
اتجاه إجباري
قصة عشق ـ ج١
سجود المشاعر
رسائل لم تصل
بين أجنحة الكاردينال
أسيرة روح
صغيرتي
حكايات رحال
جوري
غربة روح
توءم الشعلة
عادي في بيتها
رسائل منسية
خلف القلوب الصامتة
وقابلتُ شيطانا
تزوجيني أولا
لم أكن أتوهم
ملاك أنت أم بشر؟
العملية كوبرا
ذلك الغريب
عاشقة على سفح القمر
احترس هناك بشر
قسمة ونصيب
مع العصفور
برادلي ولغز أهل النجوم
أزرق داكن
عنوان غموض
مخطوطة إبليس
حبر الألم
متاهات الحجرة المغلقة
طريقي بقربك
موعدنا ذات صباح
بلدة على أطراف العالم
بين طيات الهوى
أسرار الالتفات في سورة النحل
سكين ودماء
رجة عقل
تاج
كأولين
صديقي عرّوب
حكايات شارع العمدة
محاولات في القافية

دور المجمع العلمي العراقي
عاليا يا عرب
حروف مبعثرة
القرآن خارج الصندوق
نعم أحبه.. ولكن
فرس على جبل
لامار
عندما يُعشق الزيتون
آخر الحلم
حواء تحت الهامش
سيكولوجية النهاية
عنكبوت اللهفة
حديث لا يقبل الرحيل
ذات الرداء السماوي
العنقاء
ضمير الشيطان
الحياة في ريفانا
امتنان
سقوط بطئ
السر الآسن
شيفرة القدر
لسان التمساح
ليليان
بطل بلا عنوان
مشكاتي تنزف عشقا
نحو مقاربة جديدة لإعادة التربية
ظلال على جدار الروح
إعدام القيود
أنتِ قدري
هذه هي أنا
التدفق في عروق الذاكرة
من بين عيونك باتولد
صدفة
خواطر قلبية
مبرر نهائي
موسم الأحلام
حقيقة وما بعدها
صوت وصمت
خواطر الثامنة مساء
أحلام مبتورة
دموع الشتاء
حينما فاض قلبي
حكواتي هذا الزمان
مميز بالأسود
صحفية على هامش الحب
قطوف أندلسية
دراويش وكرامات

قبل النهاية
دينامية المشروع الشخصي
كبير العيلة ٢
كما سقطت الفراشة
كانت لنا أيام
مكالمة خاطئة
أغنيات الرحيل
حكايات الشهيد
وجع الذاكرة
الحلبية
كبير العيلة ٣
وتناثرت الأجزاء
العالم متر في متر
على جناح الحلم
شهقة نبض
اعتذار غير مُجدي
ظلال المرئي
طفولة بلا زوابع
أسطورة قلبي
دلني على السوق
كلمة أم حكاية
بقايا ذاكرة
تدريس اللغة العربية
رحلتي إلى السودان
أطلال أحلام
لم يعد قلبي لغيرك
في ظل الحبر (ج٤)
جريمة أبريل
الجذور
عالم الشياطين
آمال
رسائلي إليك
ليلى والمجنون
جدار الذكرة
غيابة الجُب
سيد الشر
حنين إلى الدهشة الأولى
لظى الثلج
بدون مقابل
رسائل اشتياق
المقدس سره
مملكة في رحم امرأة
الكونتيسة
مصريخ
مالاهاياتي
بطعم الحب
طرقات مختلفة
سامح على اسم خاله

ضواحي المدينة
خريف ٢٠٩٤
أشواق مبعثرة
التربية على قيم حقوق الإنسان
جنينة العكارشة
سرابيل الخوف
الحب كما يجب أن يكون
حلمي حلمك
رحلة طبيب إلى الحج
للحب كلمة أخيرة
طيور في سماء الإحساس
كوفيد التاسع عشر
سبريتوس جيمناي - سحر أورتم
القصة القرآنية ومدارج التأويل
وريث فنريسولفر
أمل بعد حب وخيانة
لنا عودة
هي والقدر
بروليتاريا
نقطة
وادي الرماد
لأجل هذا خلق الحزن
مدرسة العظماء
على حافة اندلاع الاعتقاد
كل الطرق تؤدي إلى السادسة صباحاً
على حافة الرصيف
سبل الإيمان
وحدك
صرير الالتفات
خلوة
أنا المؤرخ
من قلبي سلامٌ
لحظة قدر
سفينة النجاة
موقعة شارع العمدة
الطفل المميت
القابعون تحت القيود
لغة الجسد في القرآن الكريم
هديتي لأحبتي
حفيدة هنريتا
لم تكن صدفة بل كانت قدراً
كلمات
شيرخان
في براح الأمنيات
فلنبدأ القتل
وأخاف أن..
قطوف مغربية

الاغتراب الصوفي الأندلسي
مضمار العشق وعنواني
على جبين القمر
آر إتش(RH)
أسرار لغة الجسد
مداعبات فكرية
مرسومة يا عيون الصبية
جريمة في المالديف
صائد الصفقات وصغيرته
خريف الأندلس
مجرد حضور
نزاعات المشاعر
مجموعة إنسان
بعد الفراق
في ظروف غامضة
كلنا ندفع الثمن
شاي بالحب
أوراق البيلسان
صراع في أرض الفيروز
الشتاء الأخير - ج١
البحث عن الحقيقة
عم صابر
خوف وقصص أخرى
تحرير الصراع الداخلي
هنا دار الضيافة
هواجس
لارسا
أوراق من أشجار الدنيا
منطق الطير
سونيا وأسامة
الليالي السوداء
أسرار يونس
جريمة في الحي الصامت
لي في المأوى أورفيوسي
كولة أبو ليلة

www.lotusfreepub.com

رقم الإيداع
2021/7316

الترقيم الدولي ISBN
978-977-6839-85-4

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف